

تقديم :

كان موقع « الأزnm »^(١) احد المواقع الحضارية المقرر أن يقوم قسم الحضارة والنظم الاسلامية التابع لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة بمسحها أثناء رحلته العلمية في العام الدراسي ١٣٩٩/٩٨ هـ الى المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية . وبوصولنا الى هذا الموقع كنا أمام مبنى - يقع على طريق الحج المصري - يجمع بين الصفة المدنية والصفة العسكرية (ستتضح هاتان الصفتان أثناء معالجتنا لوظائف هذا المبنى) . وكان من حسن الحظ ان واجهة هذا المبنى تحمل نقشا عربيا مؤرخا بسنة ٩١٦ هـ وهو ولله الحمد ما زال سليما وواضحا . الأمر الذي أكد لنا نسبة هذه العمارة لأواخر العصر المملوكي ومن عصر السلطان الغوري على وجه التحديد . ولما كان هذا المبنى هو الوحيد الذي بقي لنا من ذلك العصر ولا زال في حالة تسمح لنا بدراسة جادة لنظام العمارة المملوكية على هذا الطريق ، فقد دفعني هذا الى التفكير الجاد في اعداد دراسة علمية لهذا المبنى ونشرها حيث لم يسبق تناول هذا الموضوع ..

البحث حتى يكون تسجيلا علميا يستفيد منه
دارسو الحضارة الاسلامية والمهتمون بها ، وقد

وكان لي الشرف ان أكلف من قبل كلية
الشريعة والدراسات الاسلامية باعداد هذا

وطريق مكة المعظمة لمؤلفها عبد القادر بن محمد بن ابراهيم
الأنصاري الجزيري « في حين وردت في مخطوطة اخرى
منسوخة عن نفس الكتاب تعرف بالمدينة « الأزnm » . انظر
النسخة المطبوعة لهذا الكتاب لناشرها محب الدين الخطيب ص
٤٧٣ المطبعة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ وقد ضبط
ياقوت هذا الاسم « أزnm » بضم النون وانشد قول كثير عزة :
تأملت من آياتها بعد أهلها

بأطراف اعظام فأذنب أزnm
كما قال انه موضع ما بين عقبة ايلة والمدينة وكان أحد المناهل
لحجاج مصر انظر ياقوت ، معجم البلدان . ط . السعادة أولى
سنة ١٩٠٦ .

(*) الخان ، الخانوت أو صاحبه فارسي معرب . و خان
التجار مكان تخزن وتعرض فيه بضائع التجار . وقد تكون له
أغراض أخرى مثل الغرض الذي بني من أجله خان
الأزnm . انظر الزبيدي ، تاج العروس ، المجلد الثاني ،
مكتبة الحياة ، بيروت .
(**) البرج هو الحصن .

والحصن بيوت تبنى على السور ، وقد تبنى على نواصي اركان
القصر . انظر المصدر السابق .

(١) ورد اسم هذا الموقع في المخطوطات تارة « الأزnm » وتارة أخرى
« الأزnm » وعلى سبيل المثال فقد وردت الأزnm في مخطوطة دار
الكتب الأزهرية لكتاب « درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج

يشرف الجميع ، وله الفضل أولا وأخيرا . .

الموقع :

يقع هذا المبنى في فضاء بين جبال (لوحة ١) في المنطقة الشمالية الغربية في المملكة العربية السعودية بين مدينتي الوجه وضباء ، وعلى وجه التحديد شمال مدينة الوجه بحوالي مائة كيلو متر تقريبا ، كما يبعد عن ساحل البحر الأحمر بحوالي عشرة كيلو مترات ، وهو واقع على طريق الحج المصري^(١) .

علاقة الموقع بسياسة الدولة المملوكية :

ولما لهذه الطريق من أهمية كبرى بالنسبة لارتباطها بأداء فريضة الحج ، فقد كان تأمينها من الأمور الهامة التي تشغل بال حكام مصر منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري^(٢)

يلفت هذا نظر المسؤولين عن حفظ الآثار الى المبادرة بترميم هذا البناء تمشيا مع سياسة المملكة التي تعني بآثارها بصفة عامة لا سيما الإسلامية منها . .

وانتهز هذه الفرصة لأشكر للقائمين على كلية الشريعة وفي مقدمتهم سعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد العميد السابق وسعادة الدكتور عليان الحازمي العميد الحالي ، كما أشكر كلا من سعادة الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد رئيس قسم الحضارة وسعادة الدكتور حسام الدين السامرائي لما قدموه لي من عون في تذليل العقبات ، كما يسعدني أن أوجه خالص شكري للأخ الأستاذ / محمود عبد الرؤوف حلمي خبير التصوير بقسم الحضارة الذي قام بتصوير كل ما طلب منه تصويره في هذا المبنى على خير وجه والله أسأل ان يعيننا على انجاز هذه الدراسة بما

فسلمى فواقعية فخاديت فزرو فاجفر فمرشيت ففنن ففتحت سليمان فحاج فوبرات فذات عرق فواذي فخله فمكة المكرمة .

انظر عبد القادر الانصاري الجزيري ، درر التوائد المنظمة ، نشر محب الدين الخطيب ، ط السلفية . القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ من ص ٤٥٣ - ص ٤٦٦ .

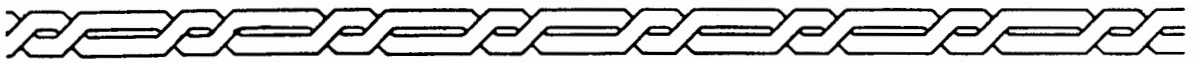
(٢) كان الحجاج المصريون وكل من يمر ببلادهم قاصدا الحج ، يتخذون منذ القرن الأول الهجري طريق قنط - القصير التي أنشأها رمسيس الثالث في القرن ١٢ ق . م لأغراض التجارة بين بلاده وبلاد اليمن والهند والعرب وهذه الطريق غنية بالآبار التي حفرها بطليموس فيلاد لفوس سنة ٣٢٠ ق . م ، كما بنيت على طولها المخازن التجارية ورتب لها الخفر اللازم لحراستها حتى مدينة بيرنيس (عيذاب) التي أنشأها وسمها باسم والدته .

فلما كانت سنة ٦٤٥ هـ حجت شجرة الدر (أواخر العصر الأيوبي) عن طريق العقبة لأول مرة مع قافلة الحج . ومن المعروف أن هذه الطريق لم تكن مأمونة نظرا لعمليات الحربية

(١) انظر الخريطة ص . طريق الحج امصري واحد من ثلاث طرق تربط مكة المكرمة بالأقطار الإسلامية شمالها ، اما الثانية فهي طريق الحج الشامي التي تبدأ من دمشق وتلتقي بالطريق المصرية عند العقبة ثم تتجه جنوبا بشرق مارة بذات حج ثم تبوك ثم تدخل المفازة الكبيرة الى العلا ويصف العلامة ابن فضل الله صعوبة هذه المفازة في شعره بقوله :

قد جعل الله من تبوك الى العلا للورى مفازة راكب تلك الطريق سندي كأنه راكب الجنازة ثم الى هدية فعيون حمة فذى الخليفة (بئر علي) وهو ميقات الحاج الشامي ثم الصفراء ثم بدر حيث تلتقي مرة أخرى بطريق الحج المصرية ثم تتابع الطريق حتى مكة المكرمة معه . .

أما طريق الحج العراقية فهي من بغداد مارة بالمواقع التالية : صرصر فراشه ، شط النيل - الحلة - بئر سلامة - الكوفة ومنها إما الى مشهد الامام علي وإما الى القادسية فالعذيب فالرحبة



فوضعوا من النظم ما يكفل سلامة الحجيج المصري من وقت خروجه من بركة الحاج بصحراء القاهرة - حيث يتجمع الحجاج وينطلقون في طريقهم لأداء فريضة الحج - الى مكة المكرمة . فقسموا الطريق الى دركات^(١) تتولى الحراسة فيها القبائل العربية المحيطة بالطريق في مقابل مبالغ معينة يتقاضونها نظير قيامهم بهذه الحراسة للدركات ويطلق على هذه المبالغ اسم « درك » ، وكانت تحول هذه المبالغ أحيانا الى مرتبات كما حدث في دولة المماليك الجراكسة ، وفي بعض الأحيان كانت تعتبر إنعاماً^(٢) .

كما أقاموا المحارس يمينا وشمالا على الطريق ومن المحارس التي تردد ذكرها في كتب التاريخ محرس بين حسما وعش الغراب ، ومحرس عند قبر السقاف بوادي عُسفان ومحرس بالقرب من دار السلطان الأشرف قايتباي ، وبالقرب من حدرة دامه^(٣) . وكانت المشاة من

العسكر الرماة توزع على رؤوس الجبال والمحارس فاذا كانت المنطقة بها طريق ضيقة بين الجبال كما هو الحال في العقبة كان ينزل الركب وأمير الحاج ودواذره ليعملوا على تسهيل المرور في هذه المضائق مع حفظ الساقة بالعسكر والقواسة^(٤) .

وإذا كانت المنطقة وعرة بين جبال وصعود وهبوط ومضيق وشقيف فان الحراسة تزيد بصفة عامة ببعض الخيول والفرسان الى ان يمر ركب الحاج كما هو في ثغرة حامد^(٥) .

ولما للماء من أهمية كبرى بالنسبة للحجيج المار في هذا الطريق الموحش والذي يقضي الحاج فيه ما لا يقل عن شهرين كاملين من العشرين من شوال وحتى الثاني والعشرين من المحرم (اذا كانت الأمور تسير بشكل طبيعي ومأمون) ، فقد وضعت الخطط لتزويد الحجيج بالماء اللازم حتى لا يهلكون لا سيما في موسم الحر الشديد ، فقسمت الطريق الى مناهل كبرى ومناهل صغرى^(٦) . ولم تقف العناية

التي كانت بين الصليبيين والمسلمين خلال هذه الفترة وما قبلها ، ثم زادت أهمية هذه الطريق ابتداء من سنة ٦٦٠ هـ في عهد الظاهر بيبرس البندقداري حيث سير منها قافلة الحاج ، وأرسل منها الكسوة التي تحملها للكعبة والمفتاح الذي أمر بصنعه لبابها الشريف . ومن ثم أخذ يقل ذهاب الحجاج عن طريق القصير ولكنها استمرت طريقا للتجارة بين الشرق والغرب . راجع محمد ليب البتوني، الرحلة الحجازية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ ص ٤٣١ - ٤٤٤ .

(١) كان الدرك الأول يبدأ من أول صحراء القاهرة الى الحمام بجلنب البحر الملح (الأحمر) محل زينة أمير الحاج بعقبة أيلة وكان يتولى حراسة هذا الدرك أمير عربان العائد بالشرقية وجماعته ، ولما كثر فساد بني عطية وتحطفتهم وتعب أمير العائد عن ردهم قرر أن يدفع اليهم مائتي دينار يأخذها من رجاله ويدفعها لهم عن خفارة النقب وخاصة من السطح الى الحمام . انظر عبد القادر

- الأنصاري الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ص ٤٨١ . .
ولزيد من المعلومات عن القائمين بهذه الدركات وحدودها يمكن الرجوع للمصدر السابق من ص ٤٨١ الى ص ٥٢٣ .
(٢) قرر أمير الحاج أنسباي حاجب الحجاب جعل المائة دينار المخصصة عن درك « العرجا » بين الوجه والنهدين مرتبا لادراكهم صار ذلك انعاما بمقدار مائة وستين دينارا . انظر عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٥٢٥ ، ص ٥٢٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٥١٧ .
(٤) أنظر المصدر السابق ص ٤٩٢ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٨٧ .
(٦) المناهل عبارة عن موارد المياه بالطريق (الآبار) والمناهل الكبرى هي مناهل الأرباع أما المناهل الصغرى فكانت دون ذلك وكانت الطريق مقسمة بين القاهرة ومكة المكرمة الى أربعة =



منزلاً في الطلعة من القاهرة الى مكة وكان ذلك في سنة ست وستين وثمانمائة (٣) في عهد السلطان الظاهر خشقدم . .

وتخفيفا على الحجاج من أن يحملوا أقواتهم خلال فترة الحج في هذه الطريق الشاقة ، فقد بنيت الخانات على امتداده ليحفظ فيها الحجاج الأمتعة والأغذية التي يمكن الاستغناء عنها الى وقت العودة اليها في أمان وزودت بالتحصينات الأمنية اللازمة بأن جعلت فيها الأبراج المجوفة ذات شقوق السهام والسقاطات والشرفات للدفاع عنها (٤) اذا ما طمع فيها طامع من الأعراب المحيطين بها كما صارت هذه الخانات (٥) مراكز أمن ثابتة يستبدل حراسها كل عام ومن أمثلة هذه الخانات التي ذكرتها كتب التاريخ خان عجرود الذي أنشأه آل ملك الجوكندار وأصلح بعد ذلك ثم أعيد بناؤه على يد الأمير الكبير خاير بك المعمار أحد المقدمين

بالموارد المائية للحجاج عند هذا الحد فقد أنشئت أيضا البرك والمصانع (خزانات الماء) واستؤجر ناس يديرونها طول السنة حتى تملأ البرك لأجل الحجاج في ورودهم وصدورهم (١) . ولأهمية الماء للحجاج كان يعدل أحيانا مسار طريق الحج المصري ، كما حدث في عهد السلطان الأشرف برسباي حين علم بأن الحاج لم يجد بمدينة الوجه ماء وخشي أن يهلك من العطش بعث لشاهين الطويل سنة أربع وثلثين وثمانمائة بحفر بئرين بموضع يقال له زاعم وقباقب فحفر شاهين البئرين المذكورين حتى لا يحتاج الحاج الى وروده الوجه فيروى منهما وقد عم الانتفاع بها وبطل سلوك الحاج على طريق الوجه في هذه السنة (٢) .

وحرصا على راحة الحجاج قسمت الطريق الى منازل (استراحات) بلغت حسب ما رواه الشيخ محب الدين بن العطار ثمانية وخمسين

العصر العثماني - الذي قام برحلته خلاله الى مكة المكرمة متوليا عملا رسميا - ووجدها أربعة وخمسين منزلا فقط انظر المصدر السابق ص ٤٧٧ .

(٤) سنتناول هذه الخصائص العسكرية بالتفصيل عند الكلام عن الأزنم .

(٥) كانت هذه الخانات تستعمل أحيانا كمكان يبيس فيه المجرمون الذين يتعرضون للحجاج بالسلب ففي سنة ٩٥٢ هاجم الأمير حسين عربان الخويطات الذين كانوا قد تعرضوا للحجاج بالنقب وسلبوهم ، فأحرق بيوتهم وقطع رؤوس ثلاثة من أعيانهم وهربت الرجال فاحاط على نيف وسبعين امرأة وولدا منهم وأق بهم صحبة الترك الى خان العقبة فحبسهم بها ، فكفوا وعفوا مدة اقامته بالمناخ ولم يسمع بسارق ولا صارخ مطلقا ، وترك نساءهم وأولادهم بالخان الى ان تكلم معه بعض أصحابه في الافراج عنهم فأمر باش الخان باطلاقهم . انظر المصدر السابق ص ٤٩٨ ، ص ٤٩٩ .

= أرباع : الربع الأول من بركة الحاج بصحراء القاهرة الى العقبة وهو قليل الماء والشجر ، والربع الثاني من العقبة الى الأزنم وهو أكثر مياها من الذي قبله والثالث من الأزنم الى ينبع وهو من الأرباع العطشة ان لم يكن بالوجه ماء أما الربع الرابع فكان من ينبع الى مكة المكرمة وهو لطيف مؤنس . انظر المصدر السابق ص ٥٢٥ ص ٥٢٦ . .

(١) أقام ال ملك الجوكندار « المنصوري أحد الأمراء المماليك » بنخل » بركا ومصانع لخدمة الحجاج انظر المصدر السابق ص ٤٤٩ .

كما بنى السلطان الغوري بركة بدر وعدة خانات وآبار في طريق الحاج المصري . . انظر عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في ابناء الأوائل والتوالي ، الجزء الرابع ط السلفية بالقاهرة . ص ٥٢٠ .

(٢) عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٥٢٠ .

(٣) ذكر عبد القادر الجزيري انه تحقق من عدد المنازل في أوائل



في سنة خمس عشرة وتسعمائة في عهد السلطان الغوري^(١) وكذلك خان «نخل» الذي بناه خاير بك المعمار في نفس السنة وبه حصار ونوباتجية من الترك والقواسة كعجروود^(٢) وقد أحدثت زيادة في هذا الخان بطوله في العصر العثماني سنة ٩٥٩ هـ على يد علي باشا كافل المملكة المصرية^(٣) وكذلك خان العقبة الذي يمثل ربع الطريق وكان قد أنشأه الظاهر بيبرس ، فلما تهدم أعاد بناءه جديدا السلطان الغوري على يد الأمير خاير بك المعمار في سنة ٩١٥ هـ وجعل به بئرا داخلية عذبة^(٤) وكذلك خان الأزنم الذي يمثل منتصف طريق الحاج المصري وكان قد بناه الناصر محمد بن قلاوون فلما طال به الزمن تهدم ، وفي عهد السلطان الغوري هدم تماما وأعيد بناؤه جديدا في سنة ٩١٦ هـ على يد الأمير خشقدم أحد الأمراء العشراوات^(٥) . وكذلك خان ينبع الذي يمثل ثلاثة أرباع الطريق وقد أنشئ على مرحلة من ينبع البندر الذي بساحل البحر الملح غربا (البحر الأحمر) ولوان أهل الركب كانوا يدعون ودائعهم في بيوت الثقات^(٦) .

وإذا كانت سياسة تأمين الطريق قد حظيت بالكثير من عناية الدولة سواء من حيث تقسيم الحراسة الى دركات وتزويد الطريق بالمناهل الكبرى والصغرى والبرك وخزانات المياه

والمنازل والمحارس وتشديد الحراسة عند الطرق الضيقة التي يسهل الاعتداء فيها على الحجاج فان الدولة قد رسمت سياستها أيضاً على العناية بالطريق نفسها من حيث اصلاحها وتوسيعها فقطعت العراقيب بعد المنيرة وهي عقبة صغيرة ومحجر وصعود وهبوط فأصلح الطريق وسهلت طرقه بأمر السلطان قانصوه الغوري على يد خاير بك المعمار^(٧) . وأصلحت الدولة نقب العقبة الذي كان ضيقا وعرا وصعوده وهبوطه شاقا في السلوك اليه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي أصلحه مرتين ، كما أصلحه بعد ذلك السلطان الأشرف قانصوه الغوري على يد الأمير خاير بك المعمار حتى سهل امره يسيرا وكذلك لقي هذا الموقع في العصر العثماني عناية كبيرة فقد أصلح ووسع وحسن حتى صار مسلكا حسنا ومرتقى هينا وطريقا لينا^(٨) .

أهمية بناء الخان في عهد السلطان الغوري :
كانت السنوات التي سبقت إعادة بناء خان وبرج الأزنم فترة اضمحلال واضح لدولة المماليك الجراكسة بمصر ، فقد كانت تعاني اقتصاديا نتيجة كشف البرتغال طريق رأس الرجال الصالح الى الهند سنة ١٤٩٧ م الذي ترتب عليه تحويل التجارة العالمية من البحر الأحمر ومصر الى جنوب افريقية ، فأصبحت

(١) عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٤٨٥ ويعتبر

هذا الخان هو المنهل الأول .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٩ .

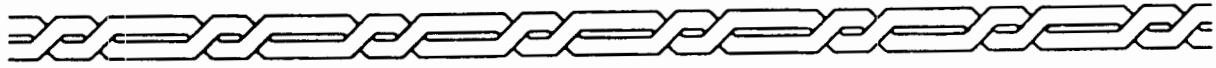
(٤) المصدر السابق ص ٥٠١ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٢٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٣٥ ، ص ٥٣٦ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٩١ .

(٨) المصدر السابق ص ٤٩٢ ، ص ٤٩٣ .



مصر بضربة قوية ونقصت مواردها واختلت ميزانيتها خصوصا بعد أن أخفقت محاولات السلطان الغوري لارجاع الطريق القديمة الى أهميتها السابقة عندما هزمه البرتغال في ريوسنة ١٩١٥هـ / سنة ١٥٠٩ م .

وإذا كانت الضائقة الاقتصادية قد بدت واضحة الآثار في مصر فقلت عمارتها في الفترة الأخيرة من دولة المماليك ، فقد ظهر صداها أيضا في علاقة سلاطين المماليك بأمراء مكة المكرمة. فبعد أن كان هؤلاء السلاطين يحرصون على ابطال المكوس التي كان امراء مكة يفرضونها على الحجيج ، ويرسلون لهم في مقابل ذلك الحبوب والأموال ، كما حدث في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ^(١) وفي عهد الناصر محمد سنة ٧٢٢هـ^(٢) ، نجدهم يقتسمون فيما بينهم وبين أمراء مكة عشر اليماني مناصفة ، ويتركون لشريف مكة فقط مال الموتى الذين لا وارث لهم في حدود مبلغ ألف دينار جديد ، وما زاد على ذلك كان للسلطان^(٣) .

وإذا كانت دولة المماليك الجراكسة قد عانت

الكثير من جراء الضائقة المالية في هذه الفترة ، فقد عانت أيضا الكثير من اضطراب احوال الحج ، التي لعلها أخذت محل الصدارة في سياسة الدولة آنذاك . فقد كانت الفترة من سنة ٩٠٧هـ الى سنة ٩١٦هـ وهو تاريخ بناء خان و برج الأزمن ، فترة قلق مستمر بسبب تعرض طريق الحج للكثير من أعمال السلب والنهب وقطع الطريق حتى بلغ الأمر ان تعطلت الطريق نهائيا سنة ٩١١هـ ويصور لنا ابن ظهيرة القرشي وابن اياس الكثير من الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة سواء كانت بسبب الصراع على السلطة في مكة وما جره من اقتتال ، فقد استمرت الفتن بين أمير مكة الشريف بركات وأخيه أحمد جازان من أواخر ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ الى أواخر شوال سنة ٩٠٨هـ ، ووصل جازان بعسكر كبير من ينبع من بني ابراهيم ودخل مكة ونهبها عسكره وانتهكوا حرمة البيت ، وظل محتلا لها الى ان وصلت تجريدة من السلطان الغوري على رأسها الأمير الكبير « قيت الرجيبي » لتأديب جازان على ما فعله في أهل مكة ونهيه للحاج الشامي والحاج

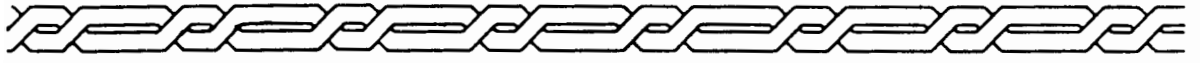
سنة ٦٦٧هـ أن لا يمنع زائرا لا ليلا أو نهارا ولا يعترض تاجرا بظلم وجعل له في مقابل ذلك عشرة آلاف درهم في كل سنة . انظر عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي الجزء الرابع ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ . ط السلفية بالقاهرة .

(٣) رسم السلطان الناصر في سنة ٧٢٢هـ بحمل الحب الى مكة ورتب لصاحبها كل عام شيئا يحمل اليه من بلدين بصعيد مصر وألزم أمير مكة باسقاط المكوس التي تؤخذ على المأكولات . انظر المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(٤) رسم السلطان قايتباي بأن عشر اليماني يقسم بينه وبين الشريف محمد بن بركات مناصفة ، انظر المصدر السابق ص ٢٧٧ .

(١) حسن ابراهيم حسن وآخرون الجمل في التاريخ المصري ، ط . الحلبي القاهرة ١٩٤٢ ص ٢٣٣ .

(٢) كان لأمراء مكة الحق في الحصول على مكس قدره سبعة دنانير مصرية ونصف من كل حاج بناء على ما قرره لهم العبيديون ، فلما تولى صلاح الدين الأيوبي أسقط هذا المكس ، وقرر لأمير مكة في مقابل ذلك ألفي دينار وثمانية آلاف أردب قمح ولكن الأمور لم تستقر على ذلك وعادت المكوس مرة ثانية ، فلما حج السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ استقبله أبو نعيم شريف مكة وأشهد على نفسه أمامه أن لا يملكس أحدا من الحاج القادمين برا وبحرا وأن يظل الجباية والمظالم الى ان تقوم الساعة . وكان السلطان قد سبق له ان اشترط على أمير مكة في



المصري ، فخرج جازان هارباً وعاد بركات الى مكة وواجه أمير التجريدة الذي قبض عليه وتوجه به الى القاهرة في أوائل سنة ٩٠٩ هـ ، ثم يعود جازان ثانية الى مكة ويستمر بها الى يوم الجمعة العاشر من رجب سنة ٩٠٩ هـ حيث يقتل على يد الأتراك الجراكسة بالمطاف^(١) عند باب الكعبة في الشوط الثالث من طوافه بمواطاة من أخيه حميضة بن محمد الذي تولى إمارة مكة وحج بالناس ذلك العام^(٢) . وقد حدد لنا صاحب كتاب درر الفوائد المنظمة قاتل جازان وربطه ببناء الخان الذي نحن بصدده فقال « وأعيد (الخان) جديدا في سنة ست عشرة وتسعمائة على يد الأمير خوش قدم أحد الأمراء العشراوات وهو المتولى لقتل الجازاني بمكة لما كان باشا بها »^(٣) .

كان هذا من ناحية اضطراب الأمور في مكة ، ولكن الأمر تعدى تأثيره هذا الحد فقد كان لخروج الجازاني على أخيه أمير مكة واطهار العصيان ان انضم اليه سنة ٩٠٨ هـ يحيى بن سبع أمير الينبع ومالك بن رومي أمير خليص وطائفة من عرب الحجاز هم بنو ابراهيم ، وخرجوا جميعا على ركب الحاج الشامي في رابع قبل أن يدخلوا مكة ، فنهبوا الركب عن آخره وقتلوا الرجال وأسروا النساء .

كما حدث بعد الوقوف بعرفة وانصراف

الحجيج للعودة ان وقعت واقعة أخرى بين رجال الشريف بركات واصطمر أمير الحاج المصري ورجاله من جهة وبين الجازاني وأعوانه انتهت بهزيمة منكرة للشريف بركات وأعوانه وقتل أكثر من مائة من المماليك ونهب كل ما في المحمل حتى عريت النساء من أثوابهن . وتخلف غالب الحاج بالينبع وصاروا ينزلون في مراكز من البحر الأحمر ويدخلون القاهرة بعد مدة طويلة وهم في أنحس حال^(٤) ، فلما رجع من بقي من الحجاج الى « الأزمن » وجدوا الآبار قد ردمت بالحجارة فمات من الحجاج جماعة كبيرة من العطش ، فلما وصلوا الى العقبة لاقاهم جماعة من « عربان بني لام » فعوقبهم عن طلوع العقبة ، وأفردوا عليهم ثلاثة آلاف دينار ، فجبي أمير الحاج ذلك من الحجاج ودفعها للعرب حتى مكنوهم من طلوع العقبة .

وسنعرض في اختصار شديد لحالة الأمن في طريق الحاج المصري في الفترة من سنة ٩٠٩ هـ الى الوقت الذي أنشئ فيه خان وبرج الأزمن لتقف على ضرورة بنائه في هذه الظروف .

١ - في شوال سنة ٩٠٩ هـ خرج الحاج من القاهرة وكان أمير الركب الأمير « أنص باي » ولم يحج في تلك السنة امرأة لفساد العربان بطريق مكة^(٥) .

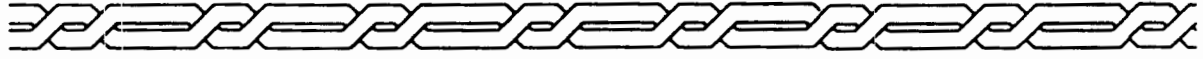
(١) جمال الدين محمد جاد الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف . ط . ثالثة . دار الفكر . القاهرة سنة ٩٧٢ م . ص ٣٢٢ ، ص ٣٣٢ .
(٢) عبد الملك بن حسين ، سمط النجوم العوالي ، الجزء الرابع .

ص ٢٨٨ .

(٣) الجزيري ، درر الفوائد المنظمة . ص ٥٢٠ .

(٤) ابن اياس (محمد بن احمد بن اياس الحنفي) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ،

(٥) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ٦٢ .



يحصى (٢) نتيجة للانتصارات السابقة .

٩- في ربيع سنة ٩١٤ هـ ، أصدر السلطان أوامره لخاير بك المعمار بالتوجه الى العقبة لإعادة بناء الخان والأبراج (٣) .

١٠- في سنة ٩١٥ هـ أصدر السلطان أوامره ببناء خان وبرج الأزمن . والذي انتهى منه العمل سنة ٩١٦ هـ .

مما تقدم يمكننا القول ان « خان وبرج الأزمن » جاء بناؤه كضرورة حتمية تتوج الاعمال العسكرية التي قامت بها التجريدات الثلاث التي أنفذها السلطان لتأديب الخارجين على النظام والعابثين بطرق الحج واعمالا لسياسة الدولة في توفير الأمن والراحة للحجيج .

ولما كان « خان وبرج الأزمن » من أهم معالم طريق الحاج المصري رغم مرور قرابة الخمسة قرون على بنائه - وما زال حتى الآن يحمل بين ثناياه معالم العمارة المملوكية فسندقم له دراسة معمارية تفصيلية .

المسقط والتخطيط المعماري للخان :

للخان مسقط مربع طول ضلعه من الخارج ٣٩,٩٠ م (٤) ، (شكل ١) يحده في نواصيه أربعة أبراج مثمثة الشكل افتراضا . يظهر من كل برج خمسة أضلاع كاملة ونصفان . والمسافة المحصورة بين أبراج النواصي ٣٣,٣٠ م .

٢- في سنة ٩١٠ هـ قرر في أمرة ركب المحمل « قاني باي قرا » امير آخور كبير .

٣- في ربيع الآخر سنة ٩١١ هـ عرض السلطان الغوري العسكر وعين ثلاث تجاريد واحدة منها الى مكة لقمع يحيى بن سبع أمير ينبع وواحدة الى الكرك لتأديب عربان بني لام والثالثة الى الهند لصد اعتداءات الفرنج . .

٤- في سنة ٩١١ هـ أصدر السلطان الغوري أوامره بإبطال التوجه الى الحجاز لخطورة يحيى ابن سبع وأعوانه ، وذلك بالنسبة لأهل مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة ولم يحج في هذا العام أحد من المغرب أو بلاد التكرور كذلك ، واكتفى السلطان بارسال الكسوة وصرر الحرمين والزيت من البحر في مراكب من الطور الى جدة (١) .

٥- في صفر سنة ٩١٢ هـ هاجمت تجريدة الهند يحيى بن سبع أمير ينبع فهرب ، واحرقت دوره على ساحل البحر وشنقت عربانه .

٦- في رمضان سنة ٩١٢ هـ انتصرت تجريدة مكة على عربان بني ابراهيم وهرب يحيى بن سبع وقتل كثير من عربانه .

٧- في ذي القعدة سنة ٩١٢ هـ انتصرت تجريدة مكة على يحيى بن سبع مرة ثانية وكذلك على أمير المدينة وحميضة أخي جازان وهربوا .

٨- في شوال سنة ٦١٣ هـ اذن السلطان للناس في الحج والتوجه الى مكة على السعادة مطلقا رجالا ونساء فحج في هذه السنة ما لا

(١) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ١٣٣ ، ص ١٤٤ ، ص

(٥) المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ١٥٢ .

(٦) جاء هذا القياس نتيجة لمد طرفي كل من الضلعين ليلتقيا في نقطة وهمية داخل كل من البرجين حتى يتمكن الحصول على القياس الكلي لكل منهما .



ولللخان أربع واجهات ثلاث منها متماثلة من الخارج ، والرابعة تمثل الواجهة الرئيسية ذات المدخل وبدنتيه وهي تقع في الجانب الشمالي الشرقي . .

وصف البناء من الخارج :

واجهات الخان الأربعة ذات سمك ١,٢٠ م ، وهي مبنية من الحجر الجيري المنحوت^(١) ، على هيئة مداميك من الداخل والخارج حشي ما بينها بأحجار غير منتظمة الشكل . أما ارتفاع المداميك فهو ٣٠ سم وهي تضم سهولا وأحمالا^(٢) ؛ السهل منها يمتد حوالي ٥٠ سم أما الحمل فيمتد ١٢,٥ سم .

ويبلغ ارتفاع الواجهات ٧ م وكان يتوجها شرفات من قطعة حجرية واحدة ترتفع ٩٠ سم لم يبق منها سوى شرفتين (لوحة ٢) . أما الأبراج الأربعة فيزيد ارتفاعها عن الواجهات بصفة عامة بمقدار ارتفاع الشرفة .

وتختلف واجهة المدخل عن الواجهات

الثلاث الأخرى باحتوائها على كتلة المدخل التي تشتمل على بدنتين تكتنفان فتحة الباب التي لا تمثل محور الخان لقربها أكثر الى جهة البرج الشمالي الشرقي ، فالمسافة بين كتلة المدخل وهذا البرج ٩,٢٥ م في حين تبلغ المسافة بينها وبين البرج الشمالي الغربي ١٠,٥٠ م (شكل ٣) .

وفتحة باب الخان يبلغ ارتفاعها ٣,٤٠ م^(٣) واتساعها ٢,٣٠ م ويعلوها عقد مدبب ذو مركزين حددت صنجه باطار حجري محزوز^(٤) لا يظهر الا من الخارج (لوحة ٣) ويعلو عقد المدخل آثار فتحتين متسعيتين يحتمل أن يكونا منفذين لحجرة تمتد أعلى ممر المدخل ، محصورة بين حجرتي البدنتين كانت تتخذ كمقرب (لوحة ٣) .

أما بدننا المدخل فلا يمكن حالياً الحكم على شكلها العام نظرا لتهدم غالبيتها ، ويحتاج الأمر الى الكشف عن أساساتها حتى يمكن الوقوف على حقيقة تخطيطهما^(٥) ، وترتفع

(١) ان هذه الأبراج ذات خمس أضلاع ونصفان في الجانبين عند التقائها بناصية كل واجهة ولكن لو افترضنا اكتمال الاضلاع فانها تعطي لنا شكلا مئنا وهذا ما جعلنا نطلق عليها مئنا افترضاً . .

(٢) تطلق الوثائق التي ترجع الى العصر المملوكي على هذا النوع من الحجر مصطلح « حجر فص نحيت » . راجع د . عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة قراقجا الحسنى ، ص ٢٢٣ حاشية ٦ ، فصلا من مجلة كلية الآداب المجلد ١٨ ، الجزء الثاني ديسمبر سن ١٩٥٦ . وحينما نتبع حجم احجار البناء قبل الفترة المملوكية والجركسية نجد ان المدماك كان يرتفع إلى ٥٥ سم ، أما في الفترة التي نحن بصدها فقد قل ارتفاع المدماك فيها فصار يتراوح بين ٣٠ سم ، ٣٥ سم وهو ما أطلق عليه في المصطلح السابق (حجر فص نحيت) .

(٣) اصطلاح أهل الصنعة على اطلاق لفظ « سهل » على الحجر الممتد امتدادا يتراوح بين ٣٠ سم ، ٦٠ سم كما اطلقوا لفظ « حمل » على الحجر الذي يتراوح امتداده في الحائط بين ١٢,٥ سم ، ١٨ سم وبذلك يظهر ان امتداده اقل من ارتفاعه . وقد عوضه المعمار بمده في عمق الجدار بشكل أكبر من السهل حتى يعود هذا بالمتانة المعمارية للجدار .

(٤) هذا القياس أخذ من مستوى الأرضية الحالية حتى الصنجة المفتاحية للعقد المتوج لهذه الفتحة .

(٥) هذا الاطار يقدر ارتفاعه بثلاث مدماك في الغالب فيتراوح بين ١٠ و ١٢ سم ويسير باتجاه عمودي على مسار صنع العقد ، ولكن في نفس الوقت يأخذ انحناء مسار هذه الصنح .

(٦) من الواضح في كثير من العماثر أن المعمار يوحد بين تصميم ابراج النواصي وابراج منتصف الواجهات وعلى رأسها برججي =



٢٦,١٠ م ومن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ٢٥,٨٠ م . ويحده من الناحية الشمالية الغربية ست حواصل ومثلها من الجهة الجنوبية الشرقية . (شكل ١) .

وهذه الحواصل عبارة عن غرف مستطيلة طولها ٥ م وعرضها ٣,٢٠ م مبنية من حجارة مهذبة على شكل مداميك امتدادها ٣٠ سم وارتفاعها ١٥ سم متعامدة على خلفيات الواجهتين المشار اليهما، وتغطيها أقبية نصف دائرية بارتفاع ٢,٢٠ م عن الأرضية الحالية (١) . ولكل حائل فتحة الى يمينه تمثل باباً اتساعه ١,٢٠ م وارتفاعه ٢,١٠ م يعلوه عتب . ويتحرك الباب الى الداخل (٢) ، حيث عمل له مدار خاص عن طريق عمل نصف قبة متقاطع فوقه باتساع ١,٥٠ م (لوحة ٧) . كما صممت للباب حافة حجرية من الخارج تمنع تحركه لهذا الاتجاه ، كما أحدث ثقب ٢٠ سم × ٢٠ سم في كتف الباب الأيسر بارتفاع ٨٠ سم من الأرضية كان يستعمل لوضع مزلاج بحكم اغلاق الباب ، وبأعلى صور كل حائل من الداخل جوفة مثقوبة شكلها يقرب من شكل المزاغل الأخرى الا ان مكانها لا يسمح باستغلالها في أعمال الدفاع ، لذلك يرجح استخدامها لأغراض الاضاءة والتهوية للحواصل لا سيما وانها تستعمل في تخزين مؤونة الحجاج لفترة تقرب من الشهر . أما

بقايا البدنتين وما بينهما الى مستوى ارتفاع ابراج النواصي وهو ٧,٥ م ، وتحفظ كتلة المدخل بشرفة واحدة تجاورها شرفة أخرى على الواجهة المجاورة (لوحة ٢) مما جعل ارتفاع كتلة المدخل بشرفتها يصل الى ٨,٤٠ م .

وتؤدي فتحة الباب الى ممر أبعاده ٤,٥٠ م × ٤ م يغطيه قبة متقاطع يشرف بواسطة عقد اتساعه ٤ م على فناء الخان . ويكتنف الممر من اليمين واليسار فتحتان يعلوهما عقدان مديبان ذوا مركزين ، يؤدي الأيمن منهما الى ساحة يقع بها بئر الخان ، كما تؤدي الى باب جانبي يتوجه عقد مدبب ذو مركزين يعقبه من الخارج باب يعلوه عتب يؤدي الى باطن البدنة اليمنى للمدخل (شكل ١ ، لوحة ٤ ، ٥) .

أما الفتحة اليسرى للممر فتؤدي الى غرفة مستطيلة طولها ٤,٥ م وعرضها ١,٩٠ م مغطاة بقبة يفصلها عن البدنة اليسرى بقايا حائط يحتمل انه كان به باب يوصل الى باطنها نظرا لوجود آثار درج في الحائط المجاور للحائط المتهدم (لوحة ٦) وتفتح هذه الغرفة على فناء الخان بواسطة عقد نصف اسطواني .

الخان من الداخل :

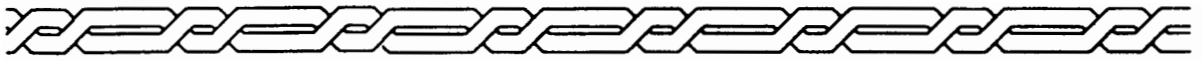
للخان فناء يقرب من المربع ، طول ضلعه من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي

للقبة وهذه الأرضية مغطاة حالياً بالأتربة وقطع الحجارة مما يؤثر على أي قياس لبيان الارتفاع .

(٢) هذه الأبواب التي كانت تغلق فتحات الحواصل ليس لها أثر حالياً .

= المدخل وقياساً على هذا فمن المحتمل ان يكون تصميم برج الخان الذي نحن بصدد نصفه مئمن وبذلك يحدث التلاؤم بينها وبين أبراج النواصي .

(١) هذا الارتفاع مأخوذ من الأرضية الحالية الى الصنح المفتوحة



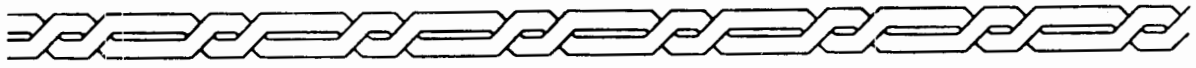
جدران الحواصل فقد بنيت بسمك ٨٠ سم
للهم الا من جهة جدران الواجهات فقد بنيت
بسمك ١,٢٠ م .

هذا وقد قسمت الحواصل من كل جهة الى
مجموعتين (٣,٣) بينهما مساحة مردومة
تسمح بالصعود فوق الحواصل التي غطيت
جميعها بردم جعلها متساوية (لوحة ٨,٩)
(وشكل ١) كما تؤدي الى درج حجري ذي
اتجاهين صمم في خلف الواجهتين ذات
الحواصل يؤدي الى مستوى الممشى الذي يمتد
بامتداد الواجهات والأبراج من الداخل . وهذا
السلم يشتمل على ست درجات بعضها من
قطعة حجرية واحدة وبعضها من اثنتين وبعضها
من ثلاث قطع ثبتت خلف الواجهات بواسطة
دخول جزء من هذه الدرجات في الجدار من
جهة كما ثبتت بوضع حوالي ١٠ سم من كل
درجة تحت التي تعلوها ، هذا فضلا عن
استعمال الجص لزيادة التثبيت (لوحة ١٠)
(وشكل ٤) ويبلغ طول الدرجة ٥٠ سم
وعرضها ٢٠ سم أما ارتفاعها فهو بارتفاع
المداميك أي ٣٠ سم .

أما الممشى الذي يؤدي اليه السلم فيبلغ
عرضه ٨٠ سم وهو يعتمد على سمك الجدران
وعلى دخلات معقودة بشكل نصف دائري تبدأ
من أعلى مستوى الحواصل مباشرة وتبلغ هذه
الدخلات تسعا في كل من الجهة الشمالية
الغربية والجهة الجنوبية الشرقية ذات الحواصل
منها ثمان ذات مزاغل بالجهة الأولى وسبع ذات
مزاغل أيضا بالجهة الثانية ويبلغ اتساع الدخلات
بصفة عامة في الجهتين - ٢ م وارتفاعها

٢,٥٠ م وعمقها ٨٠ م (شكل ٢) وقد
صممت هذه المزاغل بحيث يسهل على
المدافعين استخدامها على أوسع نطاق كما
تسهل لهم حركة توجيه سهامهم . (لوحة ١١)
وهذه المزاغل أبعادها من الداخل
١,٣٠ م × ٥٠ م رم ٧٥ × ٥٠ م أما من الخارج
فتظهر على هيئة شقوق أو فتحات مستطيلة قائمة
أبعادها ١,٥ م × ٠,٤٥ م كما جعل للممشى
سائر عبارة عن امتداد علوي للواجهة بارتفاع ٩٠
سم كان يعلوه صف من الشرفات التي تحيط
بأعلى الواجهات جميعا وكذلك بالأبراج بارتفاع
٩٠ سم ، وهي في الوقت الذي تستر فيه
المدافعين فانها تتيح لهم فرصة اصابة
المهاجمين بسهولة ويسر من خلال الفتحات
التي بينها (لوحة ٩) . .

ويحد الفناء من الجهة الجنوبية الغربية ايوان
عن يمينه وشماله حاصلان على غرار الحواصل
التي سبقت الإشارة إليها . ويبلغ طول الايوان
من الداخل ١١,٥٠ م وعرضه ٥ م ويعلوه ثلاثة
أقبية متقاطعة تغطي الايوان بأكمله حيث قسم من
أعلاه لثلاثة أقسام القسم الأوسط منها يعتمد
على عقدتين متعامدين على صدر الايوان بيدان
قريبا من أرضية الايوان الحالية ، ويعتمد كل
منهما على قطعتين كبيرتين من الأحجار ،
زخرفت كل منهما بكابولين متقاربين متجاورين
على (شكل ٨) ، (لوحة ١٢) وللإيوان
بائكة (شكل ٥ لوحة ١٣) ذات ثلاثة عقود
مدببة من النوع ذي المركزين اتساع الواحدة منها
٣,٢٥ م وارتفاعه ٤,٢٥ م وسمكه ١,٤٠ م
يشرف من خلالها الايوان على الفناء أما



الأرضية الى ما دون الممشى مباشرة بارتفاع ٤ م واتساع ٢,٢٠ م وعمق ٧٠ ر.م ويتخلل حاليا اثنتين من هذه الدخلات مزغل في كل منها . أما الدخلة الثالثة فليس بها ما يدل على وجود مزغل (لوحة ١٤) .

والمزغلان الموجودان يبلغ طول الواحد منهما من الداخل ٩٠ ر.م واتساعه ٤٠ ر.م وعمقه ٥٠ ر.م ويتوجه عقد نصف دائري ويضيق المزغل تدريجيا حتى يظهر من الخارج باتساع ١٥ ر.م وارتفاع ٧٠ ر.م ونظرا لتهدم الجزء المماثل من خلف الواجهة الرئيسية (الجانب الأيسر) فلا يمكننا وصفه . ويرجح انه كان متماثلا مع الجانب الأيمن من حيث دخلاته ومزاغله وارتفاعه سيما وان جزءا من بداية الدخلة الأولى المجاورة لكتلة المدخل لا يزال قائما مما يرجح معه ما ذهبنا اليه من التماثل (لوحة) .

الأبراج :

للخان أربعة أبراج تمثل نواصيه ، يمكن الدخول الى الجزء الأسفل منها عن طريق ممر من الفناء يوصل الى مدخل يعلوه عقد عاتق نصف دائري وعتب مسطح ولا يعرف ارتفاع هذا المدخل حاليا لانظماره كله تقريبا بالأتربة والأحجار (لوحة ١٥) ويؤدي هذا المدخل الى جوف الغرفة السفلى من البرج .

وصف الأبراج من الداخل : (شكل ٦ وشكل ٢)

للخان أبراج متماثلة - تمثل الجانب العسكري في هذا المبنى - يمكن الدخول اليها

الحاصلان الجانبيان فهما بنفس مقاييس الحواصل الأخرى طولاً وعرضاً وارتفاعاً ، ولا يختلفان الا في موضع الباب في كل منهما حيث نجد الباب في الحاصل الأيمن على اليمين في حين نجده في الحاصل الأيسر على اليسار ، وترتب على ذلك اختلاف مدار الباب في كل منهما وفي موضع ثقب المزلاج كما خلا الحاصلان من فتحات الافضاء والتهوية التي وجدناها في بقية الحواصل الأخرى .

وبأعلى مستوى أقبية الايوان والحاصلين الجانبيين نجد ثلاثة مزازل واحد منها فوق منتصف الايوان وواحد فوق كل حاصل من الحاصلين . ويلي مجموعة الايوان والحاصلين من الجانبين (خلف الواجهة الجنوبية الغربية) مساحة شاغرة من الجدار عملت بكل منهما دخلتان تمتدان من قرب مستوى الأرضية الى ما دون الممشى مباشرة لاستغلالها كحامل له . ولا يظهر في هذه الدخلات الأربع آثار مزازل على عكس الدخلات المماثلة التي نجدها في خلف الواجهة الرئيسية .

وبين مجموعة الايوان والحاصلين من جهة ومجموعة حواصل الجهة الشمالية الغربية نجد مساحة بها حجر طاحون جزء كبير منه مطمور مما يرجح معه انها كانت تستغل كمطحن لخدمة المقيمين بالخان والذين كانوا يقيمون به سنة كاملة .

كما يحد الفناء من الجهة الشمالية الشرقية كتلة المدخل التي سبق الحديث عنها والجزء الباقي من خلف الواجهة الرئيسية الذي يشتمل على ثلاث دخلات تبدأ قريبا من مستوى



ارتفاعها ١,٢٥ م واتساعها ٠,٧٥ م وتستمر كذلك الى الخارج حيث تحمل على كوابيل حجرية (لوحة ١٧) ويعلو هذه الفتحات من الداخل بصفة عامة أعتاب من قطعة حجرية واحدة يمثل مستواها أرضية الممشى الذي يدور مع الخان جميعه ويليه ساتر من الواجهة بارتفاع ٩٠ سم وسمك ٤٠ سم ثم يلي ذلك منطقة الشرفات بارتفاع ٠,٩٠ م أخرى (لوحة ١٨) لتستر المدافعين عن الخان تماما وتيسر لهم انطلاق سهامهم على المهاجمين . أما بالنسبة لبرجي ناصيتي الواجهة الرئيسية فقد اختلف نظام توزيع السقاطات فيهما حيث تظهر من الخارج آثار كابولي السقاطة في الضلع الأولى (مع اغفال نصف الضلع)

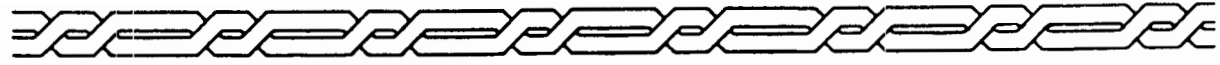
وصف الأبراج من الخارج :

(لوحة رقم ١٩)

تأخذ الأبراج من الخارج شكلا مثلثا افتراضيا حيث يبرز منها خمسة أضلاع كاملة ونصفان . طول الضلع فيها ٢,٨٥ م وترتفع هذه الأضلاع الى مسافة ٢,٩٠ م من الأرض الحالية ثم تقل أبعاد الأضلاع نتيجة انزلاقه على شكل زاوية منفرجة بارتفاع ٠,٣٠ م فتصير ٢,٦٥ م وتستمر كذلك الى نهايته التي تصل الى ٧,٥٠ م ارتفاعا ثم تعلوها الشرفات بارتفاع ٠,٩٠ م أخرى ، ويظهر على البرجين الخلفيين من الخارج سقاطتان محمولتان على كابولين حجرين ويتصدرها فتحة مزغل طولية وبذلك تستعمل للدفاع بوسيلتين هما : اسقاط المواد الملتهبة

من الفناء بواسطة ممر يؤدي الى مدخل لغرفة البرج السفلية وهي مستديرة يبلغ قطرها ٣,٢٠ م ويعلوها قبة ضحلة بارتفاع ٤ م من الأرضية الحالية^(١) . وبهذه الغرفة ثلاث دخلات اتساعها ٨٠ ر.م وارتفاعها ١,٦٠ م (من الأرضية الحالية) ولهذه الدخلات عمق يبلغ ٥٠,٥٠ م كما يتوجها قوس يتكون من ثلاث قطع حجرية يتوسطها مفتاح العقد (لوحة ١٦) وفي الجزء العلوي من هذه الدخلة صمم مزغل يتسع من الداخل ويضيق الى الخارج تدريجيا حيث يظهر على هيئة شق طولي باتساع ٠,١٥ م وارتفاع ٤٠,٤٠ م ويتوجه من الخارج عقد بزاوية منفرجة (لوحة ١٧) والغرفة السفلية مبنية بمداميك من الحجر المهذب ارتفاع الواحد منها ١٨,٠٠ م استعمل في لصقها الجص (لوحة ٢) وقد ردم أعلى هذه الغرفة (فوق القبة الضحلة) للحصول على أرضية مستوية عالية تتساوى مع أرضية السقاطات وهذا المستوى العلوي من البرج ذو شكل مثلث الاضلاع متمشيا مع الشكل العام للبرج من الخارج . وقد نفذت في اضلاع هذا المستوى من البرجين الخلفيين ثلاث فتحات للمدافع (في الضلع الأول ، والثالث ، والخامس) مع اغفال نصف الضلعين . كما نفذت سقاطتان في الضلع الثاني والرابع ، وتبدأ فتحات المدافع من الداخل كبيرة ثم تضيق كالعادة . فطولها من الداخل ١,١٠ م واتساعها ٠,٧٠ م بينما تظهر من الخارج بارتفاع ٤٠,٤٠ م و٣٠ م ويعلوها عقد منحوت نصف دائري . اما السقاطات فهي أوسع من الداخل حيث يكون

(١) أخذ هذا القياس من الأرضية الحالية وهي مغطاة بالأتربة والأحجار .



٢ ، ٣ ، ٥ ، ٣٤) .

٢ - حجر منحوت نحتا جيدا من الحجم الصغير (١٢,٥ م × ٣٠ م) يطلق عليه أهل الصنعة مصطلح « حمل » وهو يستعمل عادة مع « السهل » .

٣ - حجر منحوت بصورة أقل جودة مقاس ١٥ م × ١٥ م ، ٣٠ م × ٣٠ م . وقد استخدم هذا النوع في بناء الحواصل من الداخل وكذلك في بناء الغرفة السفلية وقبتها الضحلة في الأبراج من الداخل (لوحة ٢) ويحتمل استخدام هذا النوع في بناء أقبية الأيوان .

٤ - أحجار صغيرة غير منتظمة الشكل تستعمل في حشو الجدران .

وكانت الجدران تبنى بصفة عامة على اساس وضع الأحجار المنحوتة نحتا جيدا من الخارج والداخل على السواء في مداميك منتظمة ثم يملأ الفراغ بين هذه الأحجار بأحجار صغيرة غير منتظمة مع المونة المستعملة المكونة من جص مخلوط برمال المنطقة الناعمة ، كما استعملت المونة التي يغلب عليها الجص في لصق المداميك ببعضها سواء في الواجهات أو القباب الضحلة أو غرف الأبراج السفلية أو أقبية الحواصل . ومما هو جدير بالاشارة ان المعمار قد استخدم في هذا البناء موارد البيئة المحلية

من الفتحة بين الكابولين وكذلك القاء السهام من الشق الطولي الذي يتصدرها (لوحة ١٨) كما يظهر على الاضلاع الأول والثالث والخامس فتحات واسعة نسبيا لاطلاق المدافع^(١) (لوحة ٢٠) أما في الجزء الأسفل من هذه الأضلاع فنجد شقوق السهام فقط (لوحة ٢٠) .

أسلوب البناء والمواد المستخدمة فيه :

استخدمت في بناء هذا الخان أنواع مختلفة من الأحجار الجيرية من حيث التشكيل أو الحجم وهي :-

١ - حجر منحوت نحتا جيدا من الحجم المتوسط (٥٠ م × ٣٠ م) يطلق عليه أهل الصنعة مصطلح « سهل » ، حيث نحت وجهه كله وجوانبه بشكل طفيف حتى يتسنى استقرار الحجر على ما تحته وما سيأتي فوقه أو بجانبه ، وترك عمقه بدون نحت أو تسوية لماكن وضع الحشو والمونة ليتم التداخل بينها جميعا (لوحة ٣٣) وفي هذا احكام للبناء . وقد استخدم كل من « السهل » و « الحمل » في بناء الواجهات الأربع من الداخل والخارج على السواء ، كما استخدم نفس الأسلوب في بناء أبراج النواصي وكذلك في بدنتي المدخل وواجهات الحواصل المشرفة على الصحن وكذلك في واجهة الأيوان وجدر كتلة المدخل وتبطين أعلى الآبار الداخلية والخارجية (لوحة

الرابع ص ١٤٢ . ويلاحظ ان هذه الفتحات الثلاث ليست ضيقة على غرار الفتحات المنتشرة في الواجهات وفي أسفل الأبراج وانما صممت بشكل متسع يسمح باستعمال المدافع التي استخدمت في أواخر العصر المملوكي .

(١) عرفت المدافع في العصر المملوكي فقد ذكر ابن اياس في معرض الحديث عن سنة ٩١٤ هـ ان السلطان الغوري حضر احتفالا في النيل عند بلدة طرة « جنوب القاهرة » استخدمت فيه المراكب الأغربة والطبول والنفوط قدامه في البحر عدة مدافع فكان يوما مشهودا . انظر ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء

المدخل ويطلق على هذه الدائرة في المصطلح
الوثائقي لفظ « ميمه » .

الكتابات التذكارية والتاريخ :

يحمل الجزء الأيمن من واجهة الخان
الرئيسية لوحا تذكاريًا من قطعة حجرية واحدة
مربعة الشكل (٦٠, ٦٠ م × ٠, ٦٠ م) قسمت
واجهتها الى ثلاثة أقسام عرضية يحتوي كل قسم
على سطر واحد مكتوب بخط ثلث (أقاليمي)
بشكل نحت بارز نصه كالآتي (لوحة ٢١) .

السطر الأول : حضر في هذا المكان الأمير
الأشرف .

السطر الثاني : لأجل الأمير خشقدم الخازن

السطر الثالث : معمار اللطان سنة اسطعشر
وتسعمائة .

ونلاحظ على هذا النقش ما يأتي :

١ - ان مستوى خطه دون مستوى الخط
الثلث المملوكي الذي كان يكتب به على الآثار
المعاصرة في القاهرة ، وليس هذا أمرا مستغربا
فمن المعروف ان العاصمة تمتاز دائما بالاتقان
التام الذي يمثل أرقى مستويات الفن في
عصره . ولما كان هذا الأثر يبعد عن العاصمة
بحوالي ٨٥٠ كم (نصف الطريق البرية بين
القاهرة ومكة المكرمة) ، والميزة الغالبة عليه

من أحجار جيرية مختلفة وكذلك من حيث
تكوين المونة اللازمة في البناء لتوفر النورة في
المغائر القريبة فضلا عن الرمال الناعمة المنتشرة
في وادي الأزمن .

الزخارف :

يعتبر هذا البناء بصفة عامة فقيرا في زخارفه
فهي لا تتعدى نوعين هما : -

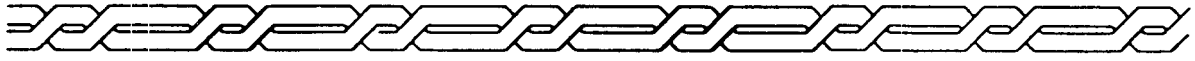
(١) استعمال الأحجار ذات الألوان المختلفة
(أبيض مائل الى الصفرة والأحمر الداكن) في
زخرفة صنج عقد المدخل في الواجهة الرئيسية
(لوحة ٣) وكذلك في زخرفة مداميك هذه
الواجهة من الخارج ابتداء من ارتفاع ٢, ٥٠ م
من الأرضية الحالية وتستمر بعد ذلك في سبعة
مداميك بالتبادل (لوحة ٢) ويطلق على هذا
النظام في المصطلح الوثائقي اسم
« مشهر »^(١) كما استخدم هذا الأسلوب من
الزخرفة في عقود فتحات المزاول من الداخل
(لوحة ٩) وكذلك في عقود فتحات الايوان
الثلاث (لوحة ١٣) .

(٢) عمل اطار يحيط بصنج عقد المدخل ،
ولاعطائه أهمية نفذت به مجموعة من الحزوز
تحصر بينها بروزا طفيفا (لوحة ٣) ومن
المحتمل انه كانت تتوج هذا الاطار دائرة غائرة
الوسط كانت تملأ بقطعة حجرية أو بالجص
الناصع البياض حتى تعطي زينة معمارية لقمة

الحسنى ص ٢٢٣ ، حاشية ٦ ، مجلة كلية الآداب مجلد ١٨
العدد الثاني . .

كما يلاحظ ايضا في العصر المملوكي استعمال « الأبيض
والأسود » وتسميته « بالأبلق » تشبها مع التعريف اللغوي .

(١) « المشهر » اصطلاح وثائقي عن الزخرفة بواسطة تعدد الألوان
« أبيض وأحمر » بالتبادل وقد شاع هذا المصطلح في العصر
المملوكي بعد ان كان المصطلح القديم لتعدد الألوان
« أبلقا » . راجع د . عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة قراقجا



ليبنى بها مارستانا ورباطا ، وان يبلط الحرم ، ويجري عين ماء بازان الى مكة ^(١) . ولعل مما يرجح ما ذهبنا اليه أيضا ورود لقب « الخازن » لمعمار السلطان ، وهو لقب من كان يعهد اليه احيانا الاشراف على بناء العمائر الخاصة بولي امره ^(٢) فوق ما يعنيه من تولي الصرف والانفاق باذن ولي الأمر .

ومن المعروف أن الأمير « خشقدم » كان أمير عشرة ^(٣) بينما كان « خاير بك » أمير مائة مقدم ألف ^(٤) ، وهو بهذا الوضع كان احد معاوني خاير بك في انجاز العمائر السلطانية .

٦ - ورد لصاحب هذا النقش وهو « خشقدم » ألقاب هي الأمير ، الأشرف ، الأجل ، كما ورد له وظيفة وهي « الخازن » . ويشير لقب الأمير في العصر المملوكي الى ان خشقدم كان مملوكا أثبت جدارته فمنحه السلطان لقب الامارة ، فصار بذلك عوناً للسلطان في المحافظة على سلطنته وفي حمايتها في الداخل والخارج وفي ادارتها ^(٥) كما كان أمير عشرة ^(٦) ، وهو يمثل بذلك الطبقة الثالثة من حيث الرتب العسكرية والقيادية كما كانت تسند اليه وظيفة ادارية هامة متصلة بالحضرة السلطانية وهي « خازن » ^(٧) أما بالنسبة للقبى « الأشرف » والأجل فهما لقبان

هي التقشف والبعد عن الزخرفة بصفة عامة ، فقد استعين في كتابة نقشه التاريخي - رغم أهميته - بكتاب عامي غير متقن ، كتب كلمة « اسطعشر » حسب نطق العوام .

٢ - كتبت كلمة « هاذا » في السطر الأول بألف زائدة .

٣ - كتبت كلمة « لمعمار » على سطرين فاللام في نهاية السطر الثاني و « معمار » في بداية السطر الثالث .

٤ - كتبت كلمة « السلطان » بدون السين ، فجاءت « اللطان » ولعل هذا يرجع لضيق المكان في السطر الثالث .

٥ - وضع هذا النقش في مكانه على الواجهة الرئيسية الى يمين المدخل ، على غير العادة التي كانت تصدر فيها النقوش التذكارية المدخل . ولعل هذا يشير الى ان صاحب الاسم المسجل فيه وهو الأمير « خشقدم » كان يقوم بالعمل باسم المعمار الكبير الأمير خاير بك المشرف العام على العمائر السلطانية في عصر السلطان قانصوه الغوري نظرا لانشغاله بأعمال اخرى فقد كان السلطان قد كلفه سنة ٩١٥ هـ بالتوجه الى مكة المكرمة من البحر الملح (الأحمر) وان يأخذ معه جماعة من البنائين والنجارين والمهندسين

(٥) د . حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، الجزء الأول ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ .
(٦) أي يقود عشرة فرسان .
(٧) د . حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، الجزء الأول ، ص ١٥٩ .
(٨) « خازن » هي الصيغة المعربة لكلمة « خازندار » ، انظر المصدر السابق ص ٤٥٣ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء الرابع ص ١٦٣ .
(٢) د . حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف جزء أول ص ٤٤٩ ط النهضة العربية سنة ١٩٦٥ القاهرة .
(٣) عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٥٢٠ .
كان الأمير خشقدم قد تولى قتل الجازاني بمكة . انظر المصدر السابق ص ٥٢٠ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .



الايوان ذو البائكة الثلاثية : (شكل ٥)

نظرا لاتساع الايوان بالخان اضطر المعمار لايجاد واجهة تناسب امتداد مساحته ، ولما كان كل اتساع يقابله ارتفاع ، كان لا بد من تقسيم واجهة هذا الايوان لثلاثة عقود تكون بائكة .

ويتبع هذا العنصر نجد انه وليد فكر المعمار الشامي الذي أوجده في مدارس الشام مثل مدرسة الفردوس بحلب^(٣) سنة ٦٣٣ هـ / سنة ١٢٣٥ م كما استعمل في الخانقاوات مثل خانقاه الفرافرة^(٤) بحلب سنة ٦٣٥ هـ / سنة ١٢٣٧ م . ثم اتضح هذا العنصر أيضاً في مدارس القاهرة وخانقاواتها فنجد في مدرسة المنصور قلاوون^(٥) سنة ٦٨٣ هـ ٦٨٤ هـ / ١٢٨٤ م / ١٢٨٥ م ، كما نجده في خانقاه شيخو سنة ٧٥٦ هـ / سنة ١٣٥٥ م الا أن فتحة ايوان القبلة تفتح على الصحن ببائكة ثلاثية تعتمد على أعمدة (لوحة ٢٢) .

ويمكننا القول بأن فكرة ايوان « الأزمن » قد اقتبست اقتباساً مباشراً من واجهة ايوان مسجد الغوري بالخليفة من القاهرة سنة ٩٠٩ هـ / سنة ١٥٠٤ م × (لوحة ٢٣ ، م ، ب) ، وهو الذي

تابعان للقب الأصل وهو الأمير ، وقد جاء في صيغة التفضيل ، ومعروف أن الألقاب في العصر المملوكي كانت تبدأ باللقب الأصل ويليه الألقاب المفردة ، ثم الألقاب المركبة ، ثم الاسم في ألقاب النسبة بأنواعها وألقاب الوظائف التي يشغلها صاحب الألقاب^(١) .

٧- أما من حيث التاريخ الوارد في هذا النقش وهو سنة ٩١٦ هـ فهو يتفق مع ما ورد في كتب التاريخ لا سيما المعاصرة لهذا البناء وهو يشير الى تاريخ الانتهاء من بناء هذا الخان^(٢) .

تأصيل العناصر المعمارية في خان وبرج « الأزمن » .

يمكن اجمال العناصر المعمارية في هذا البناء في النقاط الآتية :

أولاً : الايوان ذو البائكة الثلاثية .

ثانياً : أنواع التغطية .

ثالثاً : أبواب الحواصل ومداراتها .

رابعاً : الزخارف المعمارية .

خامساً : وسائل الدفاع وتنوعها وتعدد مستوياتها .

(٣) راجع عادل نجم عبو ، الرباط في العمارة الأيوبية في سوريا ، بحث بالكتاب الذهبي للاحتفال الخمسيني بالدراسات الأثرية بجامعة القاهرة ، جزء ٢ ص ٤٠ ، شكل ٢ . طبعة دار المعارف بالقاهرة سن ١٩٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢ ، شكل ٧ .

(٥) يوجد بعض الاختلاف في واجهة هذا الايوان حيث فتح المعمار في الجانبين بابين وفي الوسط بائكة ثلاثية .

(١) د . حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والأثار ، ص ١٠٨ . ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٢) عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٥٢٠ . ذكر التاريخ عند هذا المؤلف لبناء الخان مطابقاً تماماً ، كما ذكر الأمير خشقدم الذي تولى اعادة بناء هذا الخان وهو سنة ٩١٦ هـ . أما ابن اياس فقد ذكر في معرض الحديث عن سنة ٩١٥ هـ هذا الخان ولعله اشار الى تاريخ البدء في اعادة بنائه بعد هدم الخان القديم .

ب - وبالنسبة للتغطية بالأقبية نصف الدائرية نجدها تغطي الممرات الموصلة لصحون بعض المنشآت الدينية وعلى رأسها الممر المتفرع من دركاه دخول خانقاه سلار وسنجر الجاولي سنة ٧٠٣ هـ / سنة ١٣٠٣ م بشارع ماراسينا بالقاهرة (لوحة ٢٦) كما نجدها تغطي كثيرا من الحواصل السفلية سواء كانت خاصة بمتصوفة أو خاصة بالتخزين في وكالات . فبالنسبة لحواصل الخانقاوات نجدها في خانقاه سلار وسنجر السابق الاشارة اليها كما نجدها في خانقاه شيخو السابق الاشارة اليها وخانقاه الناصر فرج سنة ٨٠١ هـ - سنة ٨١٣ هـ / سنة ١٣٩٨ - سنة ١٤١١ م . أما بالنسبة لتغطية حواصل الوكالات ذات الأقبية النصف الدائرية فنجد في المستوى الأول لكل من وكالة قايتباي في الأزهر بالقاهرة سنة ٨٨١ هـ / سنة ١٤٧٧ م وكذلك في وكالته بباب النصر سنة ٨٨٥ هـ / سنة ١٤٨٠ - ١٤٨١ م . هذا بالإضافة لوكالة السلطان الغوري نفسه التي أقامها مع مجموعته في سنة ٩٠٩ / ٩١٠ هـ بالغورية .

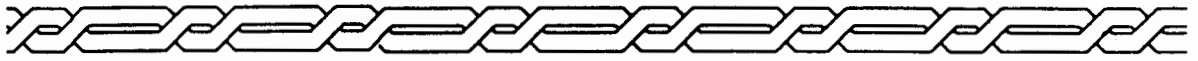
ج - أما بالنسبة للتغطية بالقبة الضحلة التي تغطي الحجرة السفلية بأبراج النواصي بخان الأزمن فيمكننا أن نجد شبيها لها في تغطيات ممر كل من باب الفتوح سنة ٤٨٠ هـ وزويلة بالقاهرة سنة ٤٨٥ هـ ، كما تتضح في الأبراج الحربية مثل برج الظفر سنة ٥٦٦ - ٥٧٢ هـ سنة ١١٧١ م - سنة ١١٧٦ م بالقاهرة (لوحة ٢٧) وهي تشبه تماما القبة الموجودة بخان الأزمن حيث لا توجد في كل منها مناطق انتقال كما نجد

شيد هذا الخان أيضا في عهده . ومما تجدر الاشارة اليه ان جميع هذه الأمثلة كانت ذات عقود مدببة من النوع ذي المركزين المستعمل في خان الأزمن .

أنواع التغطية :

شاعت في خان الأزمن أنواع مختلفة من التغطية فمن أقبية متقاطعة الى أقبية نصف دائرية الى قباب ضحلة . وقد شاعت هذه الأنواع جميعها في مصر سواء في عهد الفاطميين أو الايوبيين أو المماليك وسواء كانت مادة البناء بالآجر أو بالحجر . وفي عهد الغوري - منشئ هذا الخان - انتشرت تغطية الايوانات والأروقة بالأقبية المختلفة الأنواع سواء في منشآته أو منشآت أمرائه . .

أ - فبالنسبة للتغطية بالأقبية المتقاطعة نجدها على البلاطة الأولى لايوان مسجد الغوري السابق الاشارة اليه (لوحة ٢٤) كما نجدها على الايوانين الجانبيين لمدرسة خاير بك نائب حلب بباب الوزير بالقاهرة سنة ٩٠٨ هـ / سنة ١٥٠٢ م (لوحة ٢٥) واستعملت كذلك في تغطية الحجرة التي تتقدم سبيل الأمير طراباي الشريفي بباب الوزير من القاهرة سنة ٩٠٩ هـ / سنة ١٥٠٣ - ١٥٠٤ م . وكذلك في تغطية كثير من الحواصل السفلية بكل من مدرسة السلطان الغوري سنة ٩٠٩ هـ / سنة ٩١٠ هـ - سنة ١٥٠٣ / سنة ١٥٠٤ م بالغورية بالقاهرة فضلا عن استعمالها في تغطية الحواصل السفلية بمدرسة خاير بك بالقاهرة السابق الاشارة اليها .



القبة الضحلة ايضا تغطي ايوان القبلة بمدرسة قاني باي أمير آخور بدرب اللبانة بالقاهرة سنة ٩٠٨ هـ / سنة ١٥٠٣ م . . كما نجدها كذلك أعلى المحراب في مسجد الغوري بالخليفة بالقاهرة المشار اليه سالفا (لوحة ٣٢) .

أبواب الحواصل ومداراتها :

نفذ المعمار أبواب الحواصل في خان الأزمن في شكل فتحات يتوجها أعتاب وجعل تحرك الباب الى الداخل . ونظرا لتغطية الحاصل بقبو فان امتداده يتعارض مع مصراع الباب ، الأمر الذي جعل المعمار يتخذ امتدادا للقبو المغطى للحاصل يخالفه في الاتجاه وعلى مستوى اكثر ارتفاعا حتى يعطي امتدادا علويا لمصراع الباب وهو شيء طبيعي نجد المعمار قد لجأ اليه في كثير من منشآت القاهرة كما هو الحال في مقعد الأمير ماماي سنة ٩٠١ هـ / سنة ١٤٩٦ م (لوحة ٢٨ أ، ب) والحواصل السفلية لمدرسة الأمير خاير بك السابق الاشارة اليها ، وكذلك في الحواصل السفلية لمدرسة الأمير قرقماس سنة ٩١١ هـ - سنة ٩١٤ هـ / سنة ١٥٠٦ م - سنة ١٥٠٨ م بقرافة الغفير بالقاهرة . .

الزخارف المعمارية :

نظرا لطبيعة خان الأزمن فقد انعكس هذا على ما به من زخارف فاقصرت على نواح معمارية بنائية جاءت باصطفاف المداميك في كل من الواجهة الرئيسية للخان أو صنج عقود كل من المدخل وبائكة الايوان وبعض فتحات

المزاغل ، وذلك في تبادل لوني منسجم وهو على نسق ما نشاهده في عمائر امراء وسلاطين المماليك في مصر والشام ، واذا كان قد بدأ هذا النظام بما يطلق عليه « الابلق » فانه أخذ يتوارى ويتضح قرينه وهو « المشهر »^(١) (لوحة ٢٩) ونجد هذا « المشهر » يظهر في الشام في « خان الصابون » بحلب وهو الذي انشأه خاير بك الذي سبقت الاشارة اليه ، كما ظهر في منشأة السلطان الغوري بالغورية من القاهرة سنة ٩٠٩ هـ - ٩١٠ هـ ولاكساب الصنج وخاصة صنج عقد المدخل نوعا من المتانة والجمال فقد حددها المعمار بمداميك عمودية عليها . ولم يكتف بهذا فقد شغل هذه المداميك بحروز لابرز أهميتها . وهذا ما نشاهده في كثير من عمائر القاهرة المعاصرة لهذا الخان . كما هو الحال بمدرسة وقبة السلطان الغوري بالغورية بالقاهرة السابق الاشارة اليها كما نجدها في مدارس قاني باي أمير آخور وخاير بك وقرقماس السابق ذكرها .

وسائل الدفاع وتعددتها وتنوعها :

اشتمل الخان على وسائل دفاعية متعددة سواء كانت على المستوى الواحد للدفاع أو في تعدد المستويات ، الذي لجأ اليه المعمار لزيادة الفاعلية الدفاعية لمثل هذه المنشأة وهذا الأسلوب نجده في الأسوار الحربية للمدن ، كما نجده في القلاع التي تحميها ، ففي أبواب القاهرة الفاطمية والأيوبية تعدد للمستويات كما

(١) راجع حاشية رقم (١) ص ٣٨٠

٨٨٤ هـ / سنة ١٤٧٩ م فهو عبارة عن فتحتين متجاورتين شأنه شأن فتحتي مرقب خان الأزمن (لوحة ٣٠) كما نلاحظ شيها آخر لمرقب الأزمن في باب القرافة بالقاهرة سنة ٨٩٩ هـ / سنة ١٤٩٤ م ولو أن هذا المرقب يشرف على الخارج بثلاث فتحات (٢) متوجة بأعتاب .

أما بالنسبة للشرفات التي كانت تتوج واجهات الخان فهي عبارة عن قطعة حجرية واحدة مستطيلة الشكل (٩٠ م ، ٤٠ م ، ٢٠ م) ذات قمة نصف دائرية . ومثل هذه الشرفات اتخذت كناحية معمارية لانهاء الواجهات بها لاضفاء ناحية جمالية ، ولكن هذا لا يمنع من اتخاذها كساتر للمدافعين ومثل هذه الشرفات لم ينوع فيها المعمار كثيرا في المباني الحربية فهي تكاد تكون ذات طراز واحد ، ونشاهد مثل هذه الشرفات في أسوار القاهرة وبواباتها الفاطمية هذا بالإضافة لبعض الأسوار الأيوبية المكتملة المحيطة بالقاهرة (لوحة ٣١ أ ، ب) كما نجدها أيضا في برج قمارش بغرناطة من القرن الثامن الهجري « الرابع عشر الميلادي » . . .

هو مشاهد في قلعة الجبل بالقاهرة وكذلك في برج قايتباي بالاسكندرية (لوحة ٣٠) من العصر المملوكي .

أما من حيث تنوع وسائل الدفاع فنجد ان المعمار زود الخان بوسائل على رأسها ابراج النواصي التي برزت بشكل كبير لتعطي فاعلية دفاعية لأكبر قدر ممكن من دائرة مرمى البرج . وهذه الأبراج كما ذكرناها على شكل مشمن افتراضا ، وقد وجدنا أمثلة لها في الأناضول في عصر سلاجقة الروم ومن امثلتها خان سلطان سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م^(١) .

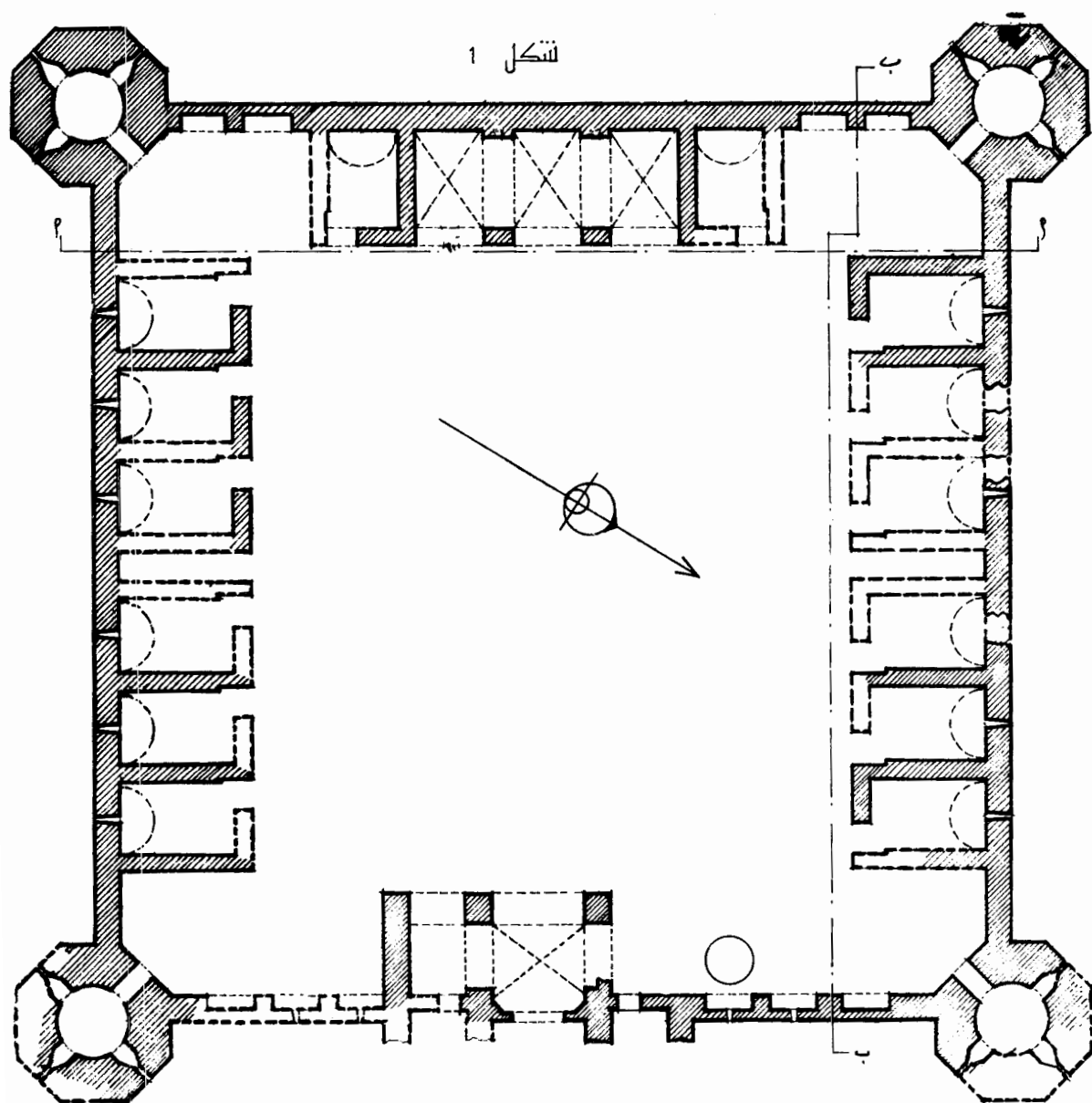
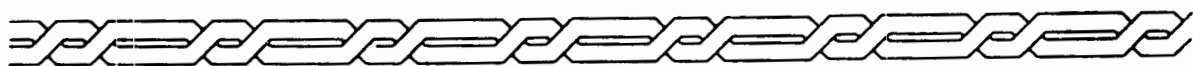
ولاعطاء فاعلية دفاعية أكبر لمثل هذه الأبراج فقد زودت بسقاطات (شكل ٧) ونجد شيها له في برج الحداد بالجهة الشمالية الشرقية من قلعة الجبل سنة ٥٧٩ هـ / سنة ١١٨٣ - ١١٨٤ م حيث تتطابق تماما مع ما في خان الأزمن .

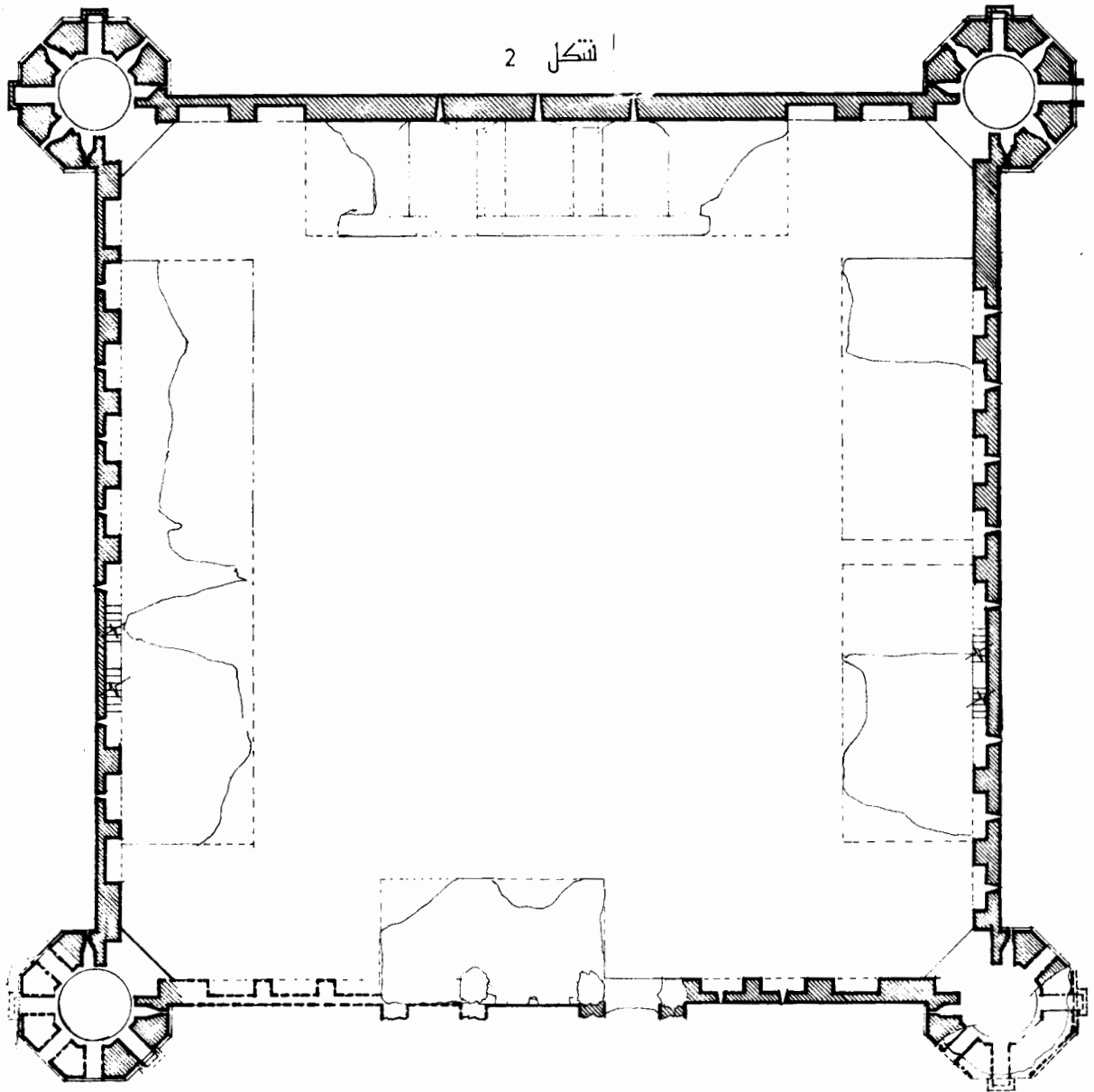
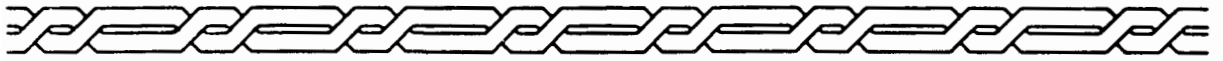
كما نلاحظ انه بالنسبة للغرفة التي تعلو المدخل ذات فتحتين متسعيتين اتخذنا كمرقب واستكشاف ما قد يأتي من بعد . ونجد مثالا لذلك في المنطرة التي تعلو مدخل باب زويله سنة ٤٨٥ هـ ولو انها ذات فتحة واحدة متسعة متوجة بعقد نصف دائري .

وكذلك مرقب برج قايتباي بالاسكندرية سنة

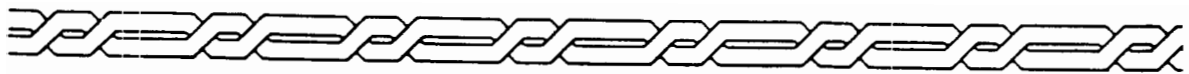
(٢) هدم هذا الباب حال توسعة ميدان السيدة عائشة بالقاهرة ، ولم يعد بناؤه حتى الآن . .

(١) راجع د . صالح لمي مصطفى ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م لوحة ١٥١ .

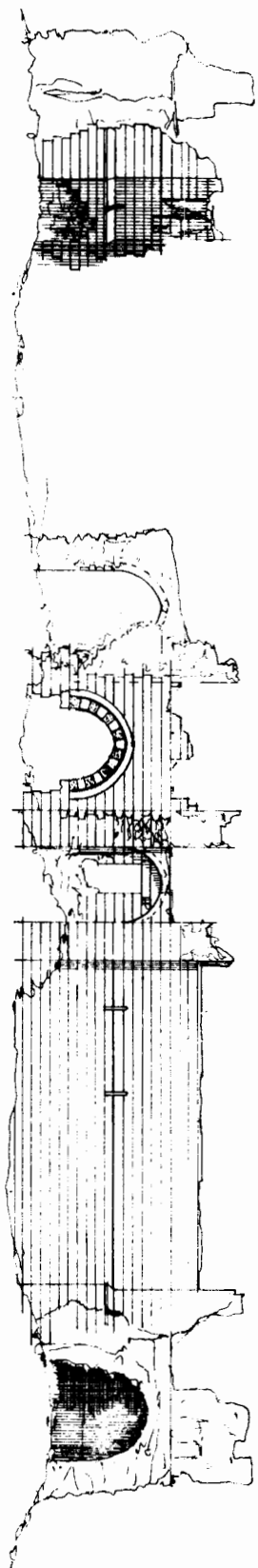




مخطط أفقي للطابق العلوي

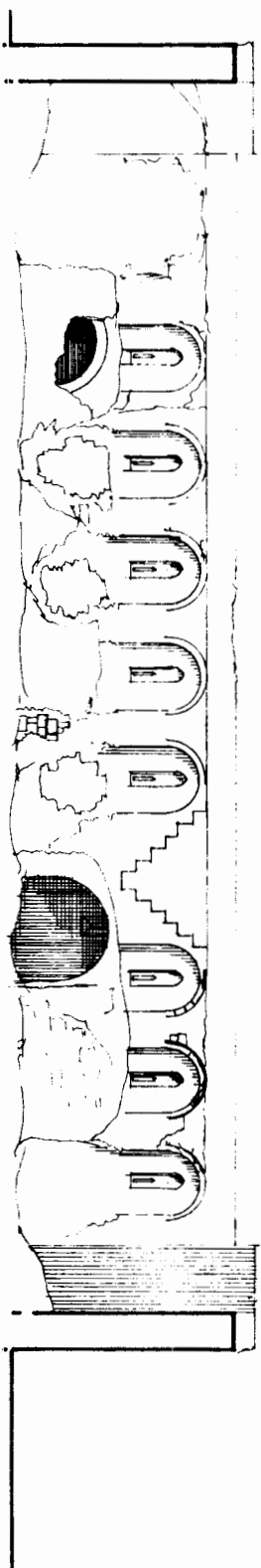


الشكل 3

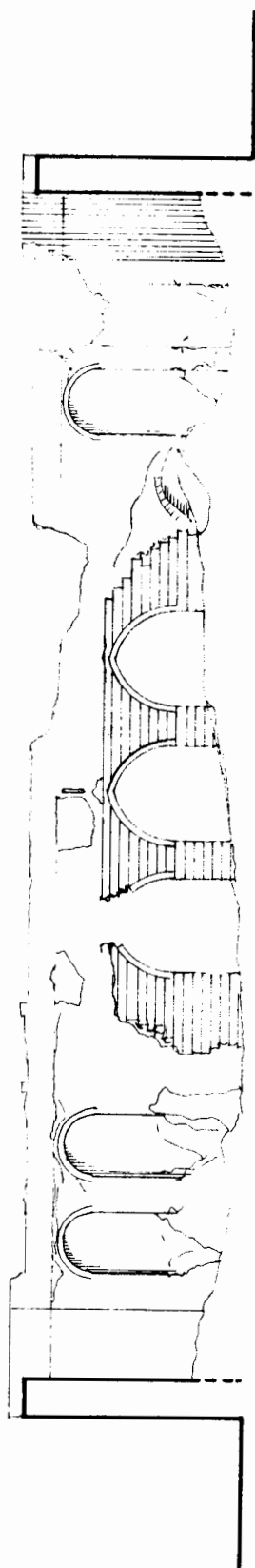
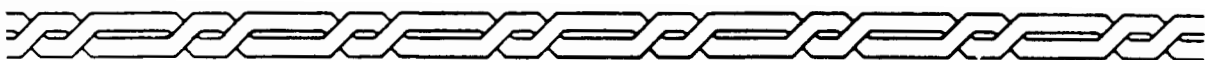


المواجهة الرئيسية

الشكل 4



فناء
بين

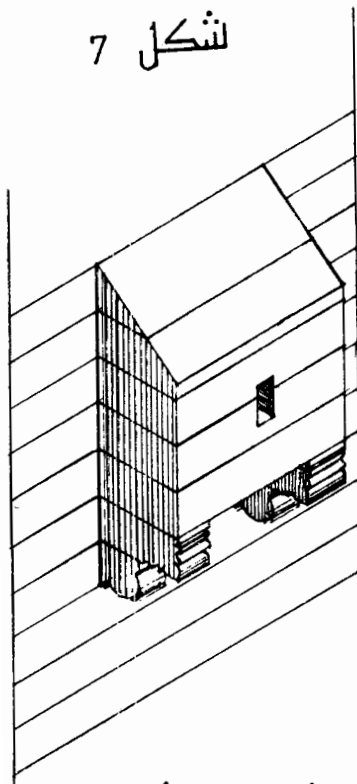


فطاع ٢-١

الشكل 5



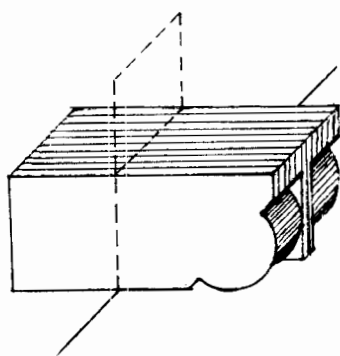
شکل 7



منظور اینومترى لى قاطعة

1 - 50

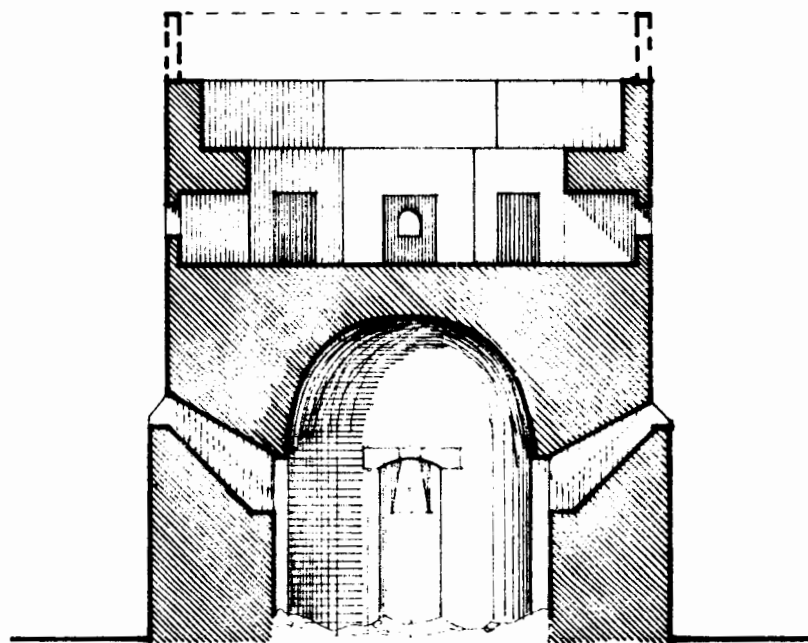
شکل 8



کابو لى بالايه ان

1 - 20

شکل 6



قطاع فى برج 1-100



لوحة ١ منظر عام يبين موقع خان الأزمن وحوله الجبال



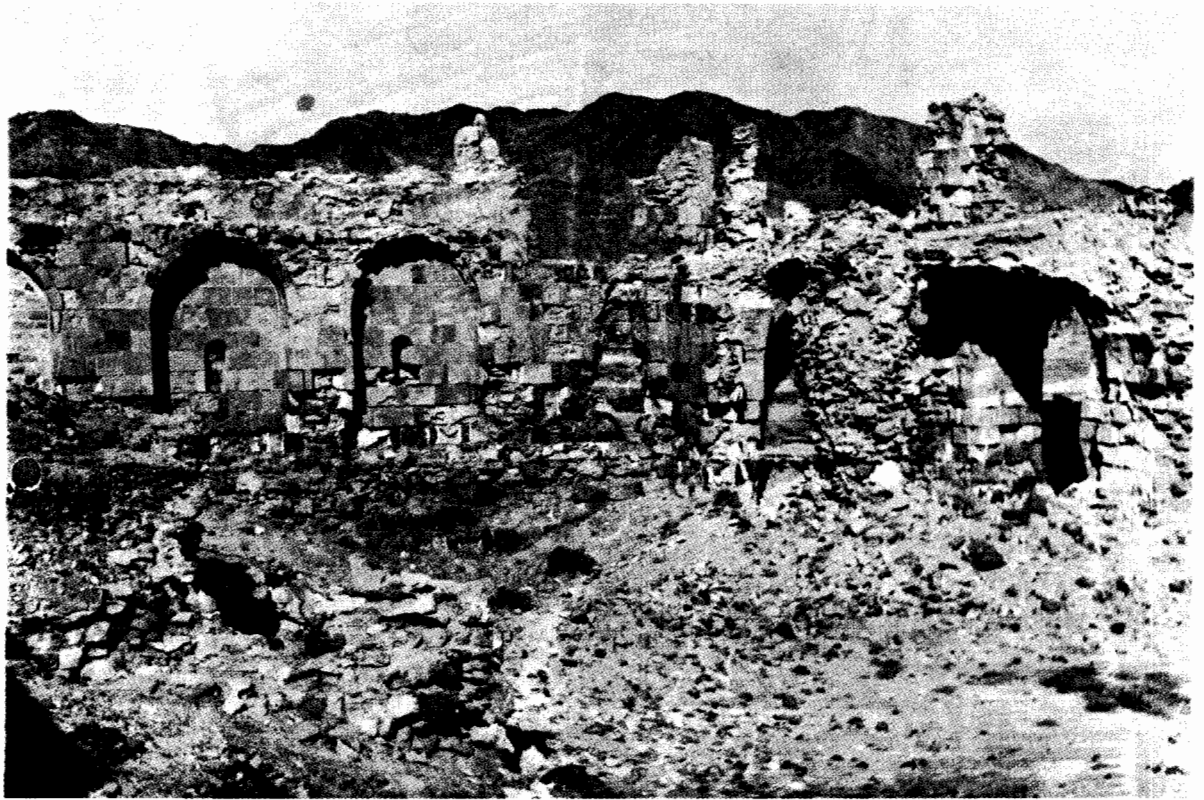
لوحة ٢ الشرفات تظهر في اعلى المدخل والحائط المجاور



لوحة ٣ فتحة باب الخان يعلوها عقد ذو مركزين من صنج حجرية يليها اطار مجري محزوز -
وبأعلى المدخل آثار المرقب



لوحة ٤ المدخل من الداخل



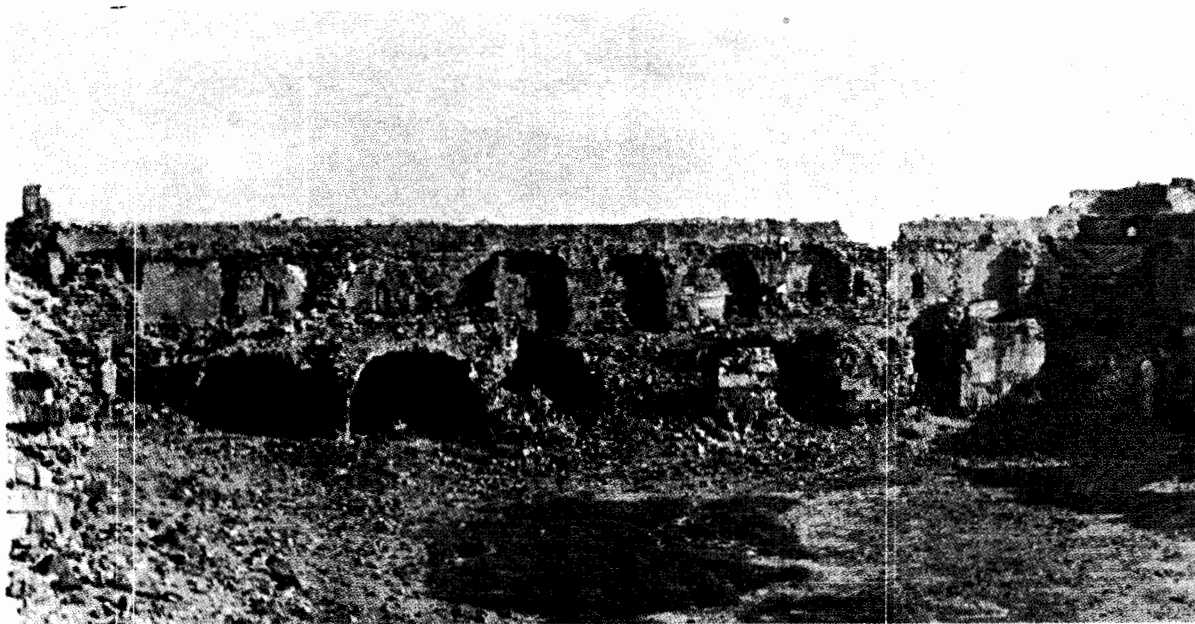
لوحة ٥ الفتحتان على جانبي ممر المدخل والباب الجانبي من الداخل



لوحة ٦
الغرفة على يسار المدخل
وبها آثار الدرج المتهدم



لوحة ٧ نصف القبو المتعارض لخلق مدار لباب الحاصل



لوحة ٨ الحواصل اليسرى



لوحة ٩ الحواصل اليمنى - الدرج المؤدي الى الممشى والساتر



لوحة ١١ أحد المزاغل بأعلى الحواصل



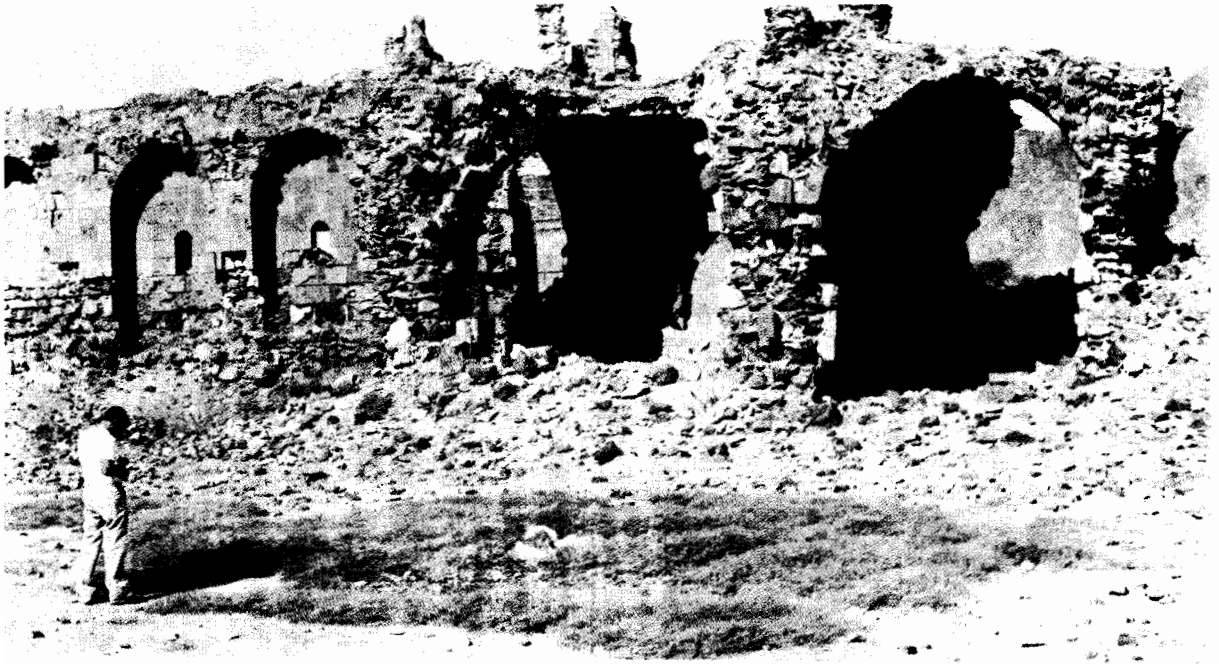
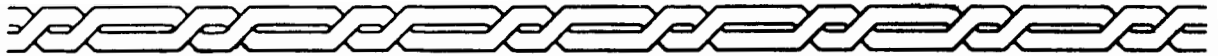
لوحة ١٠ الدرج خلف الواجهة والصاعد الى الممشى



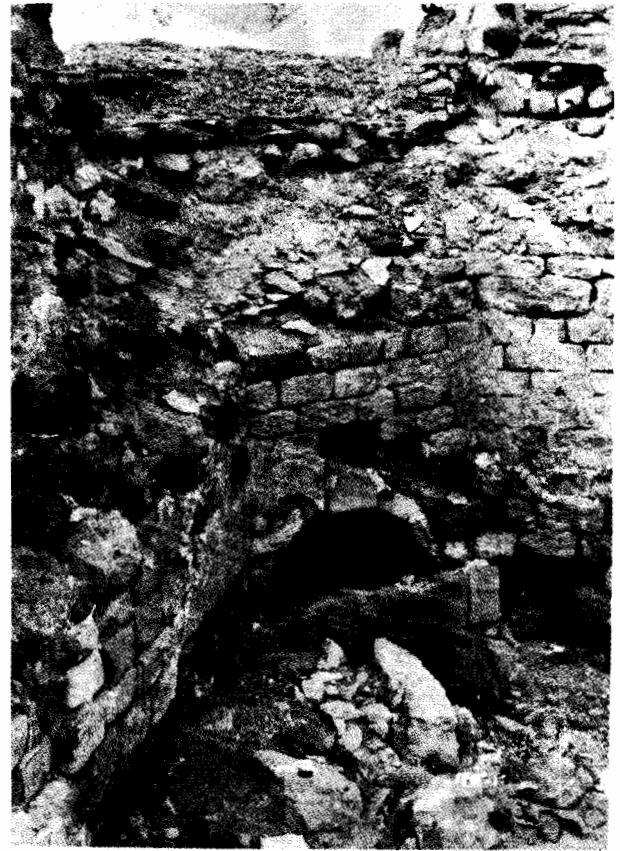
لوحة ١٢ كابولي حامل لعقد بالايوان



لوحة ١٣ البانكة الثلاثية بالايوان



لوحة ١٤ الدخلات الثلاث خلف الواجهة الرئيسية الى اليمين



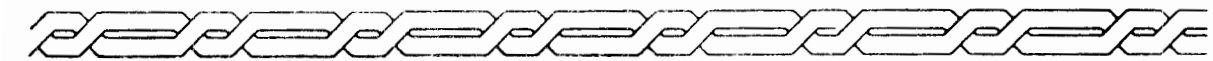
لوحة ١٥ المدخل الى الحجرة السفلى من البرج



لوحة ١٦
إحدى الدخالات بالحجرة السفلية
من البرج وبليها المزغل



لوحة ١٧ البرج من الخارج - يظهر فيه مزغل اعلاه زاوية منفرجة .

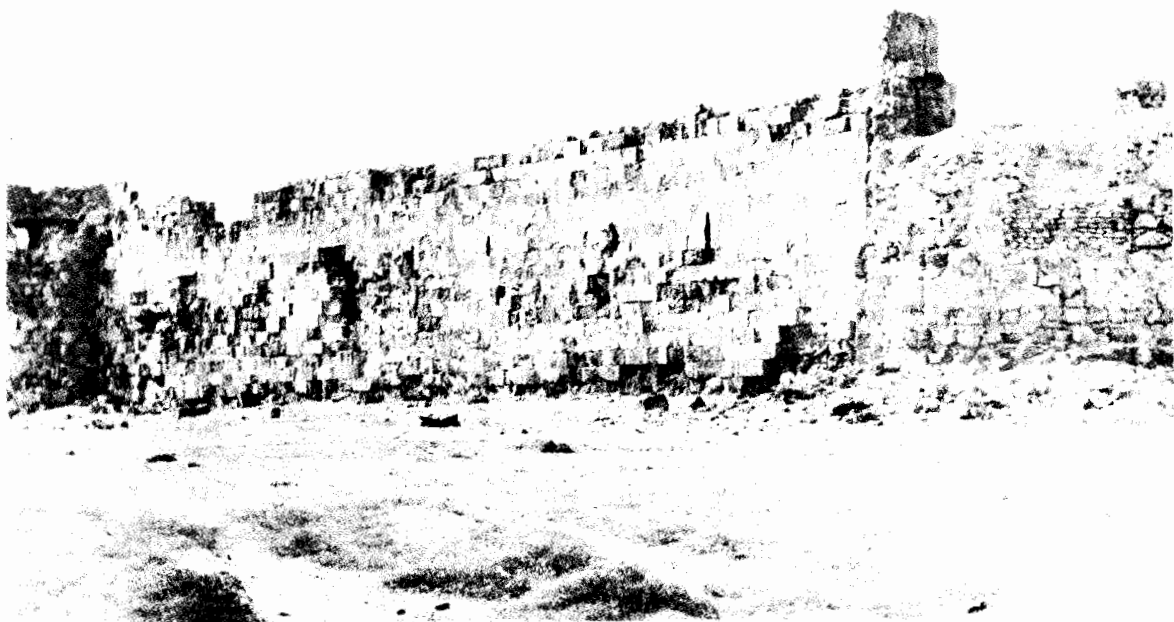


لوحة ١٨ -

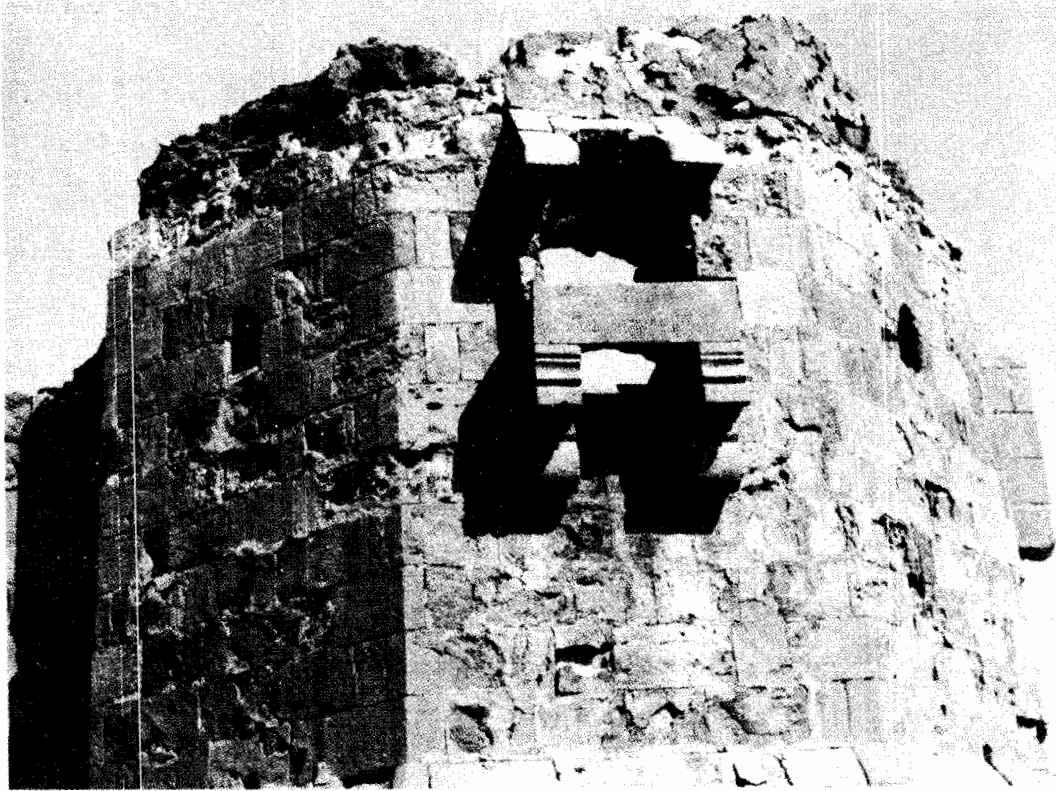
سقاطة من الداخل يعلوها عتب

فوقه الممشى مباشرة -

الساتر الذي كان تعلوه الشرفات



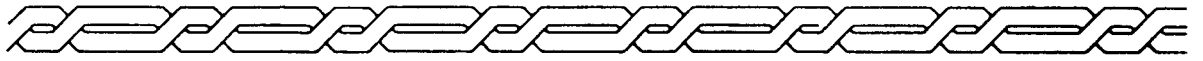
لوحة ١٩ البرج . قاعدته أضلاعها كبيرة ثم تضيق بانزلاقه على شكل زاوية منفرجة



لوحة ٢٠ أعلى البرج - السقطة وفتحات المواقع على جانبيها .



لوحة ٢١ النقش التاريخي على واجهة الخان الرئيسية (الجانب الأيمن) .



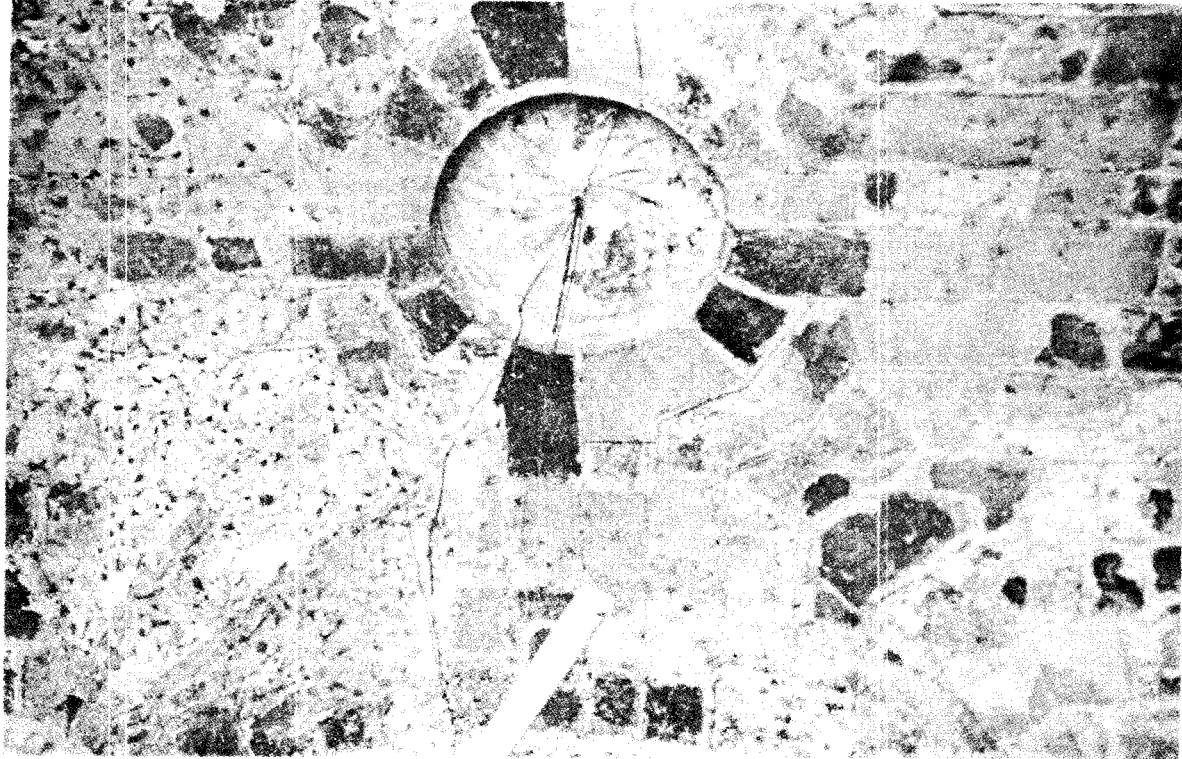
لوحة ٢٢ واجهة الايوان ذات البائكة الثلاثية بمسجد «شيخو» وهي محمولة على أعمدة .



لوحة ٢٣ أ الايوان ذو البائكة الثلاثية (تظهر في الصورة فتحتان ١ ، ٢) بمسجد الغوري بالسيدة عائشة (الخليفة) .



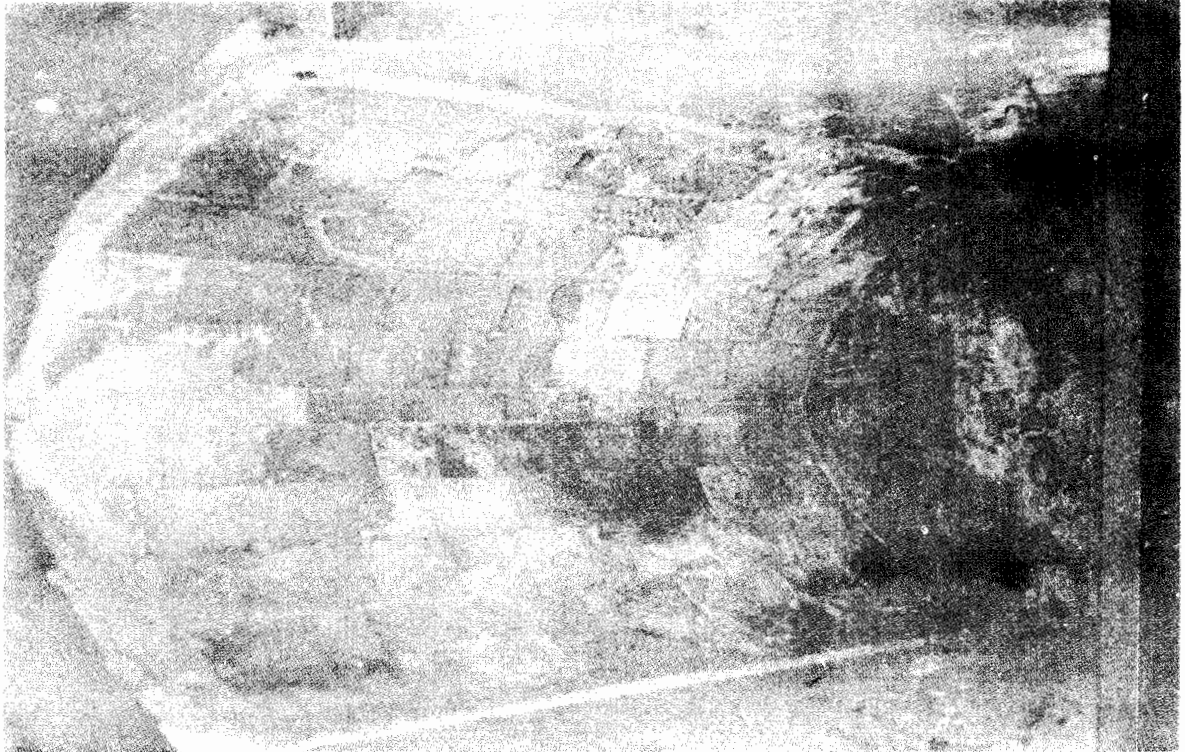
لوحة ٢٣ ب
الفتحة ٢ وقد اختفت الفتحة الثالثة وسدت
ببناء حديث كما يوضح هذا
رنك السلطان الغوري (في أقصى اليسار) .



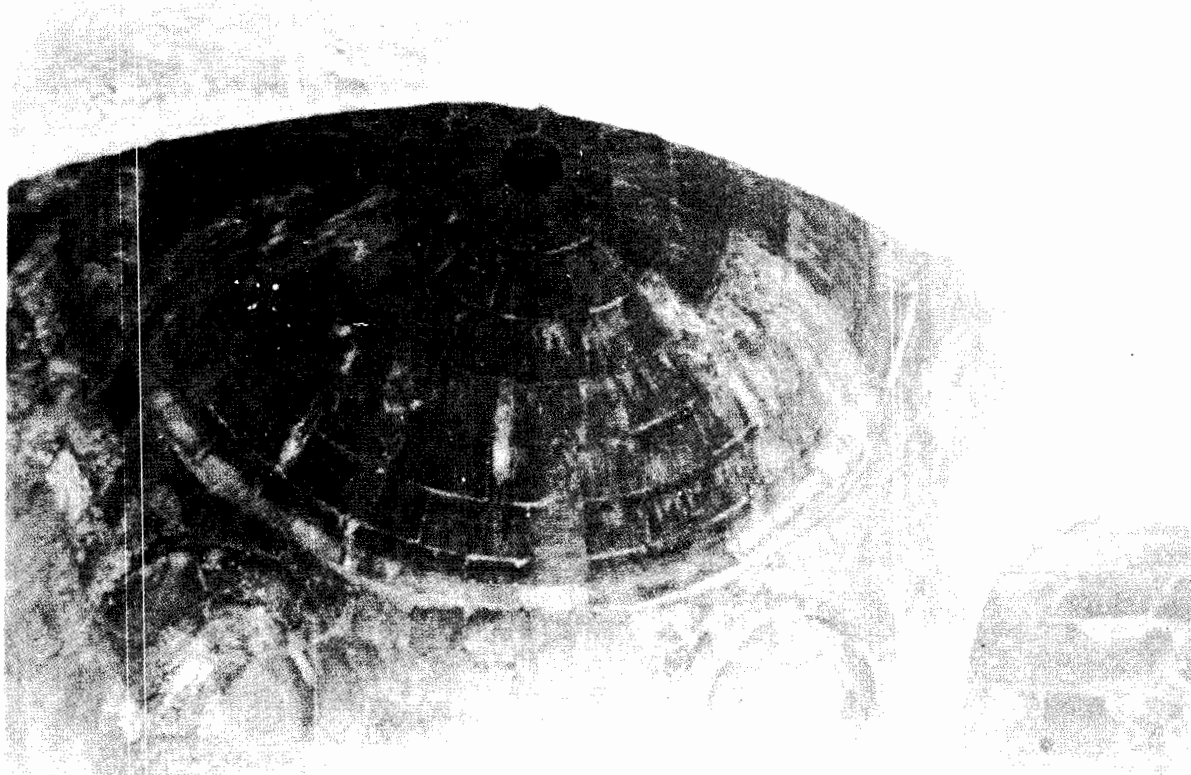
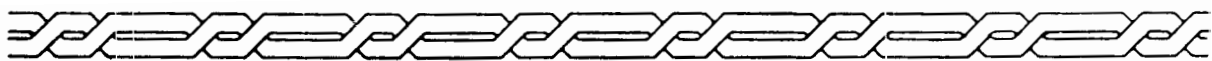
لوحة ٢٤ قبو متقاطع بمسجد الغوري بالخليفة بالقاهرة



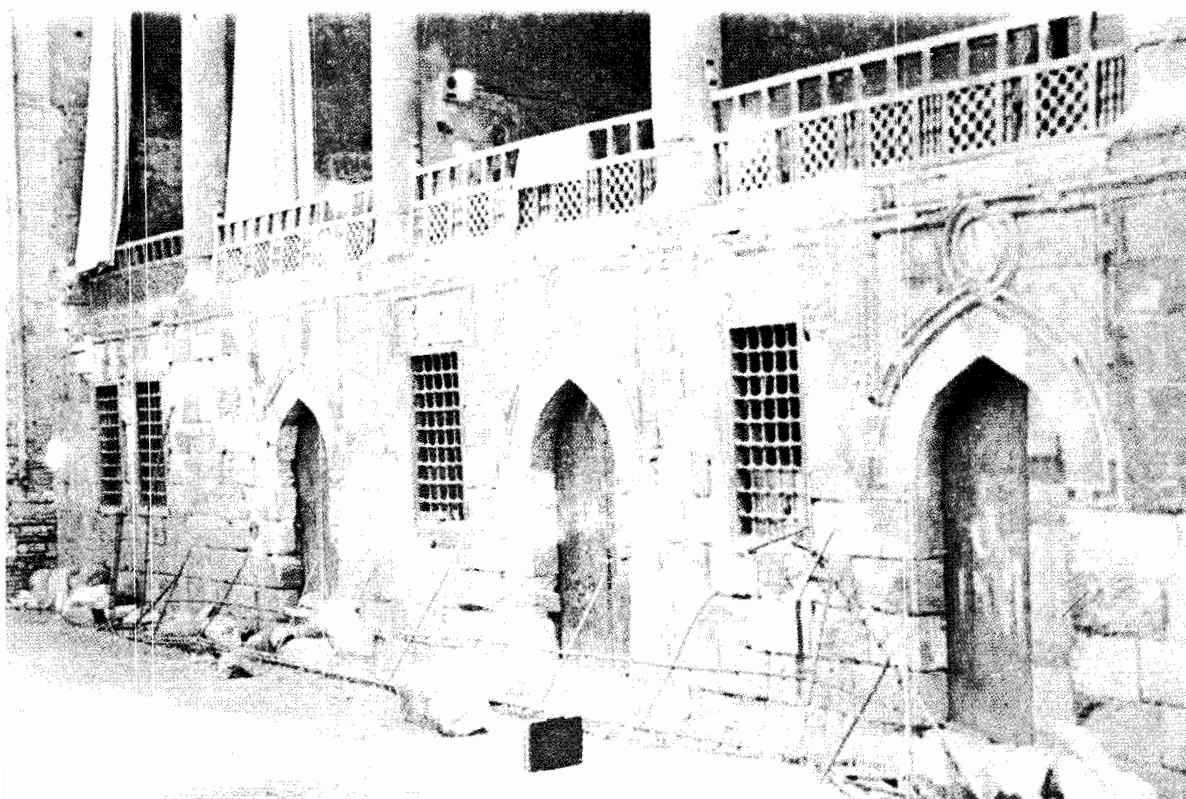
لوحة ٢٥
قبو متقاطع بمدرسة خاير بك بباب الوزير بالقاهرة .



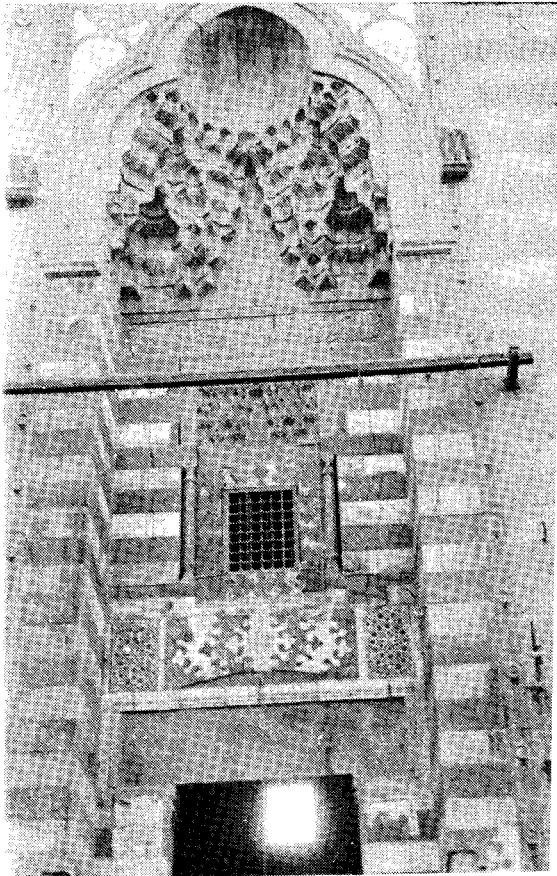
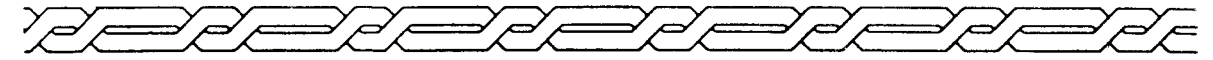
لوحة ٢٦ قبو نصف دائري على الممر المتفرع من دركاه دخول خانقاه سلار وسنجر الجادلي



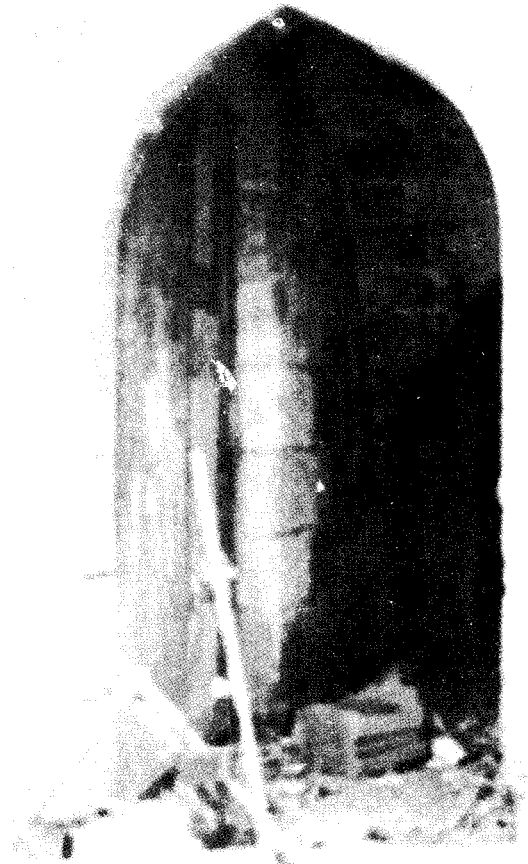
لوحة ٢٧ برج الظفر - قبة ضحلة .



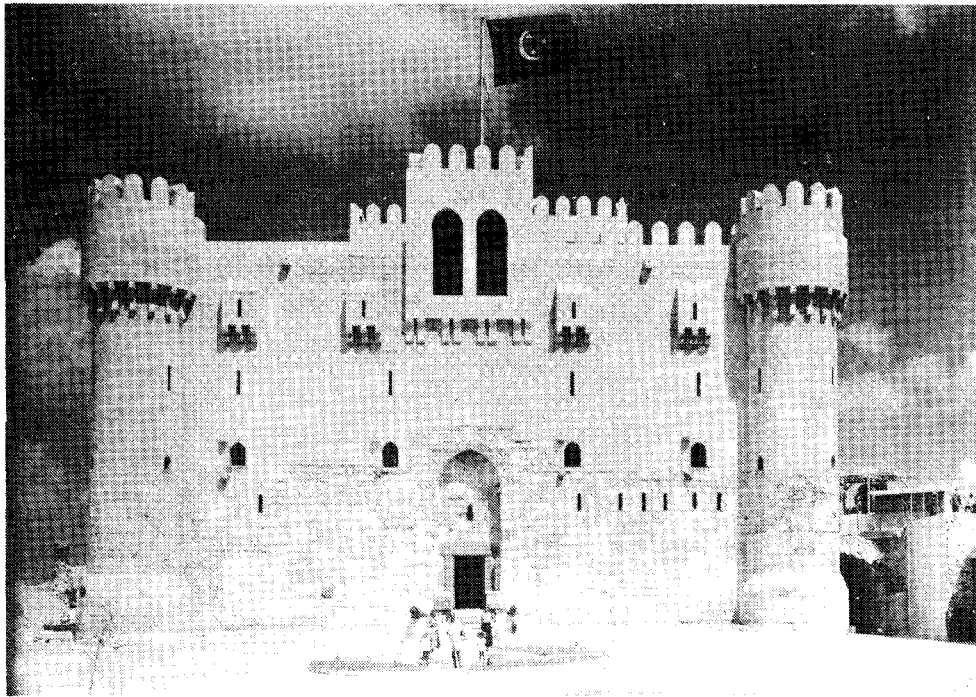
لوحة ٢٨ أ . الحواصل السفلية لمقعد مامي



لوحة ٢٩ مسجد الغوري بالغورية بالقاهرة وقد زينت واجهته بالمشهر (أبيض وأحمر) كما زين مدخله بالأبلق (أبيض وأسود)



لوحة ٢٨ ب نصف القبو المتعارض مع قبو الحاصل لتمكين الباب من الحركة (مدار الباب)



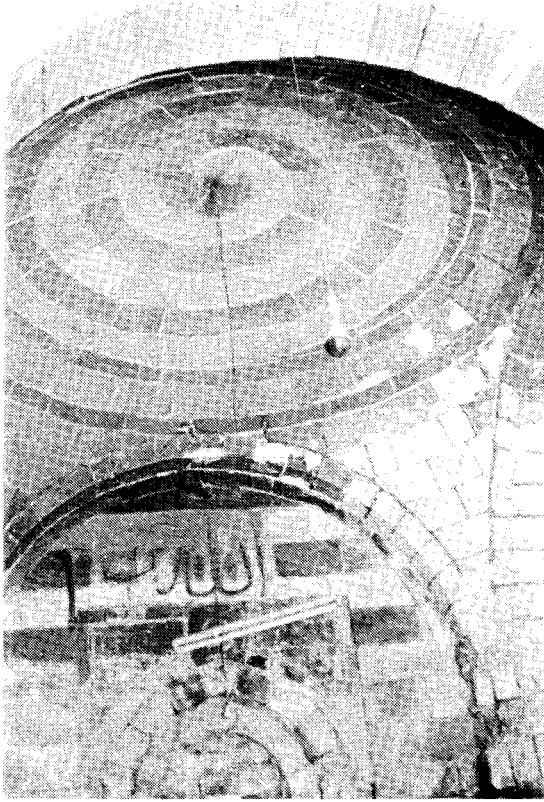
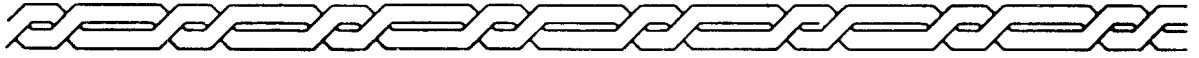
لوحة ٣٠
قلعة قايتباي
بالاسكندرية -
يظهر فيها تعدد
مستويات الدفاع .



لوحة ٣١ أ : سور القاهرة والبرج المحروق - الشرفات



لوحة ٣١ ب : سور القاهرة - الشرفات .

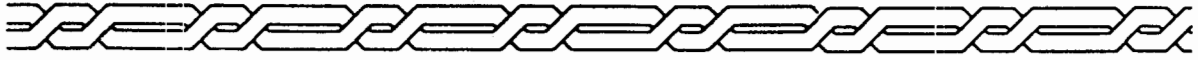


لوحة ٣٢

قبة ضحلة فوق محراب مسجد الغوري بالخليفة



لوحة ٣٣ توضيح طريقة نحت السهل والحمل وبيان مقدار عمقهما في الجدار



لوحة ٣٤ : تبين طريقة تبطين الآبار بالاحجار المنحوتة (البئر الخارجية) .